

Concept of death in the pre Islamic poetry (analytical and critical study)

Abstract

The problem of death is not an issue of today's contemporary life, but it has occupied much of human thinking for centuries back.

The issue of death and the inevitable fate of deep thinkers and wise men have made themselves concern and asked controversial questions about life and death.

The concept about death has influenced the cultures, philosophies and created myth at different levels, and changed a lot of perception about the nature of existence and survival of human beings asking themselves, as how many generations lived before them and later on passed away and asked again and again. where they have gone and the mystery of their death. Therefore, the human thinking was unable to give an answer about the mystery of death.

Death is the greatest challenge for all creatures in life from Allah, the Almighty.

This study focuses on how the pre-Islamic poetry understood the concept of death.

In this paper we will see the position of pre-Islamic poet about death, while at the same time connecting it to the modern critical literature about poet.

Through this research we will see how the ancient Arabs talked about death and how their thinking about this transformed from one stage into another. A part from developing their level of understanding about the death, yet it has shown weakness and inability to form link between the cause of death and effect it has upon human. They concluded that "nothing destroys us , but time" as the Holy Quran mentioned And they say:"What is there but our life in this world? We shall die and we live, and nothing but time can destroy us'.

The pre-Islamic poet focused mainly about death as the all human beings concern it and they recognized that life is short and has limitations. While benefiting the experience of the past kings and the generations that existed and witnessed the raise and fall of generation through centuries, therefore, pre-islamic poetry extracts wisdom and lessons that reflects on the course of end of life..

One of the main issues that preoccupied the intellectual thinking of the pre-Islamic poetry is the issue of time, age and their variability and the cause of death. The poets have given different definitions of time like(forever, night and days

etc) and again they have come to the conclusion that the main cause of death is time: "...and nothing but time can destroy us'.

On the other side the main issue which the pre-Islamic poetry emphasized was the relationship between spirit and the soul. So the word (نفس) is the sense of the human body. The ancient Arabs believed that if an individual is killed and the relative don't take revenge than they believed that an evil spirit will come out from the grave with a shape of bird called (البومة) making sound like (أسقوني) over the died body unless revenge takes place the bird will not stop carrying, while others believed that "the bones of the dead becomes bird and fly".

Some of The ancient Arabs believed that on the day of judgment the soul together with body is raised thereafter, when ever some one die they used to bring his she camel tied from neck to tail over his grave till death so as to use it a means of transport on the day of judgment.

Researchers have found link between between how the Ancient Asian Sumerian believe about death and the pre-Islamic poetry. Example, one of the Sumerian kings named Galgalmash after death of his friend(Enkidus) he discover the inevitability of death of the humans. Galganeshe propelled himself a long journey to meet the God so as to achieve his desire of victory over death.

The other thing that has been raised in pre-Islamic poet was that the other cause of death was a war and mentioned in their poet the scenario of fighting's, raids, killing and plunders and explained the sounds of sword and spears. So the worriers of that time considered death to be glory for them and showed heroism.

The poet of Jahiliyah also portrayed situation of a loss of beloved ones and the grief that follows and they showed how the whole world shared the sorrow.

After they have realized the limitation of life and that life is not sustainable they preferred to be killed in battle grounds, so as to make their names remembered after their death.

So, the pre-Islamic poet adopted the issue of death and surrendered themselves to this painful reality which is expected by every creature.

بسم الله الرحمن الرحيم

فكرة الموت في الشعر الجاهلي (دراسة تحليلية نقدية)

إعداد: الدكتور محمد إسماعيل محمد

ملخص البحث

أثارت مسألة الموت والمصير المحتوم في أعماق المفكرين والعقلاء وأثارت في أنفسهم اضطرابات وتساؤلات حائرة عن جدلية الموت والحياة ، وسر الفناء ، وغاية الزوال ، وقد عبرت ثقافات الشعوب ، وفلسفاتها ، وأساطيرها عن قضية الموت بمستويات مختلفة ونقلت كثيرا من التصورات عن طبيعة العدم والبقاء. ولهذا حفل الشعر الجاهلي بخلاصات من الحكم والعبر ضمنها الشعراء قصائدهم ومقطوعاتهم كلما لاح لهم فكر يستحق التأمل في مجريات نهاية الحياة. فاستفادوا من خبرة الماضين ، وأخبار الملوك ، وقصص الأمم البائدة ، بالإضافة إلى أن بعضهم قد شهد حياة طويلة حافلة ، رأوا من خلالها أجيالا تمضي وأخرى تنشأ ، بعد أن أصابوا من خير الحياة وشرها ، وذاقوا حلوها ومرها ففرحوا بما لديهم من مال وولد ، وحزنوا بما رزأتهم به من فقد عزيز أو ذهاب حبيب ، واعتبروا بكل أولئك ، واستخلصوا منها عبرا نادرات ،

وأستطيع أن أقول إن الرثاء يدور حول مدار واسع رحيب ، ويعج بالأحداث وبحقائق مصير الدنيا ، وهو مزيج من العواطف المتضاربة بين الشكوى والغضب وطلب الثأر ، والعزاء والتفكير في مصير الإنسان. و معظم المعاني الواردة في شعر الموت ، نجد أنهم يتصورون أن الأرض تميد ، والسماء تهبط ، والمنازل تنهدم ، والنجوم تخر من عليائها ، ويعددون مفاخر الميت من الكرم ، والشجاعة والنجدة ، والوفاء ، وعبر الشعراء عن عواطفهم البشرية إثر الفراغ الكبير الذي يتركه الفقيد ، وأن هذا الفراغ خلف فيهم مكانا لا يسد ، وجرحا لا يندمل .

تعريف الموت

الموت لغة: من (موت) الميم والواو والتاء أصل صحيح يدل على ذهاب القوة من الشيء ، منه الموت خلاف الحياة ، وإنما قلنا أصله ذهاب القوة ، لما وري عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا يقربن مسجدا ، فإذا كنتم لا بد أكلها لأميتها

طبخاً¹] والموتان: الأرض لم تُحَيَّ بعدُ بزرع ولا إصلاح، وكذلك المَوَات². أما ما جاء في لسان العرب فـ "المَوْتُ خُلِقَ من خلق الله تعالى غيره المَوْتُ والموتان ضد الحياة والموات بالضم المَوْتُ ماتَ يَمُوتُ موتاً³" ثم ينقل عن الراغب الأصبهاني⁴ - من دون ذكر اسمه - تعريفاً موسعاً في منتصف المادة ، يقول: "والمَوْتُ يقع على أنواع بحسب أنواع الحياة فمنها ما هو بإزاء القوة النامية الموجودة في الحيوان والنبات كقوله تعالى: (وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُوكَ)⁵ ومنها زوال القوة الحسية كقوله تعالى: (قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا نَسِيًّا)⁶ ومنها زوال القوة العاقلة وهي الجهالة كقوله تعالى: (أَوَمَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ)⁷ ومنها كقوله تعالى: (وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ)⁹ ومنها المنام كقوله تعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا)¹⁰، وقد قيل: المنام الموت الخفيف والموت النوم الثقيل وقد يستعار الموت للأحوال الشاقة كال فقر والذل والسؤال والهزم والمعصية وغير ذلك ومنه الحديث أول من مات إبليس¹¹ لأنه أول من عصى وفي حديث موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام قيل له إن هامان قد مات فليخيه فسأل ربه فقال له أما تعلم أن من أفقرته فقد أمته ؟ وقول عمر رضي

¹ - مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، ص 26/5، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية 1420 هـ، 1999م

² - مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، 227/5، الناشر اتحاد الكتاب العرب الطبعة الأولى: 1423 هـ 2002م.

³ - لسان العرب، - محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري 90/2- 94، طبعة دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى. (ب ت) مادة (موت)

⁴ - المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين المعروف بالراغب الأصبهاني، تحقيق محمد خليل عيتاني ص 479- 480، طبعة المكتبة الصديقية سوات باكستان. (ب ت)

⁵ - سورة الروم الآية رقم (19)

⁶ - سورة مريم الآية رقم (23)

⁷ - سورة الأنعام الآية رقم (122)

⁸ - سورة النمل الآية رقم (80)

⁹ - سورة إبراهيم الآية رقم (17)

¹⁰ - سورة الزمر الآية رقم (42)

¹¹ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، طبعة دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الرابعة 1405 هـ، 304/7

الله عنه في الحديث اللَّبَنُ لَا يَمُوتُ¹² أراد أن الصبي إذا رَضَعَ امرأةً مَيِّتَةً حَرَمَ عليه من ولدها¹³

مرادفات الموت في اللغة العربية

تعددت أسماء الموت في كتب اللغة، ومعظم هذه الأسماء من ألفاظ المؤنث. يقال للموت مَيِّتَةً (بفتح الميم وكسر النون وتشديد الياء المفتوحة) وجمام (بكسر الحاء) وسَامَ، ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم لليهود، عَلَيْكُمْ السَّامُ (أي الموت) حينما قال اليهودي للرسول صلى الله عليه وسلم السَّامُ عَلَيْكَ¹⁴، وَمَتُونٌ (بفتح الميم، وضم النون مخففة) ومنه قوله تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَثُونِ)¹⁵ ويقال للموت أيضا مَتَى (بفتح الميم مع القصر) وشَعُوبٌ¹⁶ (بفتح الشين) لأنها تشعب الخلانق أي تفرقها. وحين (بفتح الحاء وسكون الياء) فيقال نزل بفلان الحين أي الموت والهلاك، ومنها أيضا أُمُّ قَشْعَمٍ¹⁷ (بفتح القاف والعين مع شين معجمة ساكنة بينهما)، وأُمُّ اللَّهْمِ¹⁸، وأُمُّ الدَّهْمِ¹⁹. والموت والمنية، ومن ألفاظ الموت كما ورد في كتاب الألفاظ الكتابية، "الرَدَى، والهَلَاك، والتَّكُل والوفاة، والخبال. ويقال في الكنايات عن ذكر الموت، لاقاه ووفاه جِمامه، واستأثر الله به، ونقله إلى دار كرامته، وغُوجِل إلى رحمة ربه، واختار له الله ما اختار

12 - الأوسط لابن المنذر ، طبعة الكترونية 166/3، حديث رقم 849

13 - لسان العرب، 93/2، مادة (موت)

14 - صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة الطبعة : الأولى 1422هـ، 5/585 رقم الحديث 6256

15 - سورة الطور الآية رقم (30)

16 - نشطته شُعُوبٌ : أي انتزعته المنية . لسان العرب 367/2.

17 - لسان العرب 484/12، مادة (قَشْعَم) ويقول زهير بن أبي سلمى: من (الطويل)
فَشَدَّ وَلَمْ يَنْظُرْ بَيُوتًا كَثِيرَةً لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعَمٍ

شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها للشيخ أحمد الأمين الشنقيطي حققه وأتم شرحه، محمد عبد القادر الفاضلي ، طبعة المكتبة العصرية للطباعة والنشر بيروت، 2001م. ص 77
18 - لسان العرب 547/12، مادة (لهم) . و(أُنْتُ عَلَيْهِ أُمُّ اللَّهْمِ) . مجمع الأمثال لأبي الفضل الميداني، تحقيق الدكتور قصي الحسين، طبعة دار ومكتبة الهلال بيروت، الطبعة الأولى 2003م

77/1

19 - يقال في المثل: (طَرَقَتْهُ أُمُّ الدَّهْمِ) . المستقصى في أمثال العرب لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثالثة، 1987م. 151/2

لأصفيائه من جواره، ومنه أجن في حفرته، وأقضى إلى ربّه، وأجنه ضريحه، وصار إلى عمله، وما كدح لنفسه²⁰.

المجتمع الجاهلي وفكرة الروح

انقسم العرب إلى قسمين بائدة وغير بائدة، البائدة منهم كعاد وشمود وطسم وجديس وغيرهم قد انقرضوا، أما غير البائدة فقد تفرعوا من عدنان وقحطان، أما قحطان وهم عرب اليمن فقد كانوا على أحسن ما يكون التمدن بنوا القصور وشيدوا الحصون، حيث ذكر في القرآن الكريم في سورة سبأ قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ)²¹ ووقفوا على علوم مختلفة، وكذلك كان لهم اليد الطولى في كثير من الصناعات "وكانت للتبابعة والجبابرة منهم مذاهب في أحكام النجوم وغيرها"²².

أما بنو عدنان ومن جاورهم بعد أن فرّقهم سيل العرم فكانوا على شريعة موروثية وعلم نزل من السماء وهو ما جاء به إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، إلى أن اختل أمرهم وتغير حالهم بمرور الزمن، "فلم يبق عندهم علم منزل ولا شريعة موروثية،...ولا هم مشتغلون ببعض العلوم العقلية المحضة كالطب والحساب ونحوهما إنما علمهم ما سمحت به قرائنهم من الشعر والخطب أو ما حفظوه من أنسابهم وأيامهم وما احتاجوا إليه في دنياهم من الأنواء والنجوم أو من الحروب ونحو ذلك"²³ ووصفهم الله تعالى بالأمية قال تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)²⁴

وهكذا مرت العقلية العربية بطور طبيعي تمر به الأمم أثناء سيرها إلى النضج الفكري، وهذا الطور يتجلى في ضعف التعليل أي عدم القدرة على فهم الارتباط بين العلة والمعلول على سبيل المثال هم عرفوا نوعا من الارتباط بين الداء والدواء، كأن يمرض أحدهم ويألم من مرضه فيصفون له علاجا، ومع ذلك فإنهم لم يكونوا يحسنون تعليل الحوادث تعليلا علميا ولا يربطون المسببات بأسبابها ربطا محكما. أما الحديث عن دين الجاهليين فقبل أن يظهر الإسلام عرف العرب في الجزيرة العربية عدة أديان ومعتقدات

²⁰ . كتاب الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمداني، ضبط وتصحيح الأب لويس شيخو، طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين بيروت 1885م ص253

²¹ - سورة سبأ الآية رقم (15)

²² - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، للسيد محمود شكري الألوسي البغدادي، غني بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الأثري، طبعة دار الكتب العلمية. (ب ت) 3/ 80 - 81

²³ - المرجع السابق 3/ 81

²⁴ - سورة الجمعة الآية رقم (2)

فكرة الموت في الشعر الجاهلي

فكان فيهم الموحدون - وكانوا قليلين²⁵ - واليهود والنصارى، والوثنيون والمجوس والزنادقة وأنكر فريق منهم الأديان كلها وهم الدهريون²⁶ الذين قال الله تعالى في حقهم: (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ)²⁷

ومُجمل القول إنهم لم يهتموا بالحديث عن دياناتهم إلا قليلا²⁸ كما اهتموا بالحديث عن أيامهم وحروبهم وحلهم وترحالهم.

أما من الناحية الفكرية المتصلة بماهية الروح والنفس. وكون مفهوم الموت مرتبط بالروح والنفس وأن كليهما مرتبطان ببعضهما ببعض. فنلاحظ أن لفظة (نفس) هي بمعنى الإنسان والجسد في الشعر الجاهلي، وربما تأثر العرب القدماء بأمر أخرى كانت

²⁵ - منهم زيد بن عمرو بن نفيل وهو أحد حكماء الجاهليين وابن عم عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يدرك الإسلام، وكان ممن حرم الخمر على نفسه، ومنهم أمية بن أبي الصلت وهو شاعر جاهلي حكيم من حكماء الطائف، وهو ممن نبذ عبادة الأوثان في الجاهلية توفي سنة 5هـ وهو القائل:

كل دين دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفة زور

كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق سمير جابر، طبعة دار الفكر- بيروت الطبعة الثانية (ب ت) 130/4.

وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لـ عبد القادر بن عمر البغدادي، بتحقيق عبد السلام محمد هارون، طبعة مكتبة الخاتجي القاهرة، الطبعة الرابعة، 1997م. 379/6 . و الملل والنحل، لـ محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني طبعة دار المعرفة - بيروت، 1404هـ 240/2

²⁶ - يقول الشهرستاني: هم معطلة العرب وهم الذين عطلوا المصنوعات عن صانعها وقالوا ما حكاها الله عنهم (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) سورة الجاثية الآية رقم (24) فاستدل على آيات قرآنية كثيرة منها: (أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة) سورة الأعراف الآية رقم (184) و الآيات من (سورة النحل رقم الآية 48) وسورة البقرة الآية رقم (21) وأنقسم المعطلة إلى قسمين، منكروا البعث والإعادة) أفغينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد) (سورة ق رقم الآية (15) ومنكروا الرسل كما قال بعضهم:

حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا أم عمرو

الملل والنحل، للشهرستاني، 584/2

²⁷ - سورة الجاثية الآية رقم (24)

²⁸ - انظر مغلقات العرب، دراسة نقدية تاريخية في عيون الشعر الجاهلي للدكتور بدوي طبانة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية 1967م. ص 290-291

تؤمن بأن النفس هواء ونسيم.²⁹ ويشير المسعودي إلى أن تنازع الناس في الكهانة فادعى بعضهم أن نفوسهم قد صفت فهي مطلعة على أسرار الطبيعة لأن الاعتبار عندهم النفس الكلية بينما ذهب آخرون إلى أن لهم اتصال بالأرواح المنفردة وهي الجن تخبرهم الأشياء - وقد أخبر الله تعالى بذلك في كتابه العزيز فقال: (وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَتًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا)³⁰ وأن أرواحهم قد صفت حتى صارت لتلك الأرواح من الجن متفقة.³¹ ولهذا زعم بعض العرب أن النفس طائر ينبسط في الجسم، فإذا مات الإنسان أو قتل يصدق على قبره³²

وكذلك زعموا أنه إذا قُتل قَتِيل فلم يُدرك ثأره خرج من رأسه طائر كالبومة، وهي الهامة فيصيح على قبره اسقوني اسقوني³³ فإن قُتل قاتله كفَّ عن صياحه³⁴، وكان بعضهم يقول: "إن عظام الموتى تصير هامة وتطير"³⁵.

و زعم بعض الجاهليين أن الإنسان إذا مات أو قُتل اجتمع دم الدماغ أو أجزاء منه، فانتصب طيرا هامة، ترجع إلى رأس القبر كل مئة سنة.³⁶ وكذلك زعموا أنه إذا قُتل قَتِيل فلم

²⁹ - انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي، طبعة دار العلم للملايين الطبعة الأولى بيروت (ب ت) 138/6 بتصرف

³⁰ - سورة الجن الآية رقم (8)

³¹ - انظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد 172/2، طبعة دار المعرفة بيروت (ب ت)، بتصرف

³² - انظر: المطر في الشعر العربي، للدكتور أنور أبو سويلم، طبعة دار عمار - عمان، الطبعة الأولى 1987م ص 79 بتصرف

³³ - وإلى هذا يشير ذو الأصبغ العدواني في قوله:

يا عمرو إن لا تدع شئمي ومنقصتي أضربك حتى تقول الهامة اسقوني

المفضليات للعلامة أبي العباس المفضل بن محمد الضبي، حقق نصوصها وشذّب شروحها وترجم لأعلامها ووضع فهرسها الدكتور عمر فاروق الطباع، طبعة دار الأرقم بيروت، الطبعة الأولى، 1998م، ص 147

³⁴ - الجزيرة العربية قبل الإسلام - لمجموعة من الأساتذة، مطابع جامعة الملك سعود الرياض 1984م ص 157

³⁵ - تاج العروس من جواهر القاموس محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، طبعة دار الهداية. (ب ت) مادة (صدى) 415/38

³⁶ - انظر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، للسيد محمود شكري الألوسي البغدادي 199/2 - وما بعدها بتصرف

فكرة الموت في الشعر الجاهلي

يُدرِك ثأره خرج من رأسه طائر كالبومة، وهي الهامة فيصيح على قبره اسقوني اسقوني
فإن قُتل قاتله كف عن صياحه³⁷ كقول زبيد الطائي: يصف ما تبقى من أخيه بعد موته: من
(الخفيف)³⁸

في ضريح عليه عِبة ثَقِيلُ تَبِينُ يَبْقَى هَامُهَا وَقُبُورُهَا³⁹
عن يَمِينِ الطَّرِيقِ عِنْدَ صَدَى حَرٍّ أَنْ يَدْعُو بِالْوَيْلِ غَيْرِ مَعُودِ
صَادِيًّا يَسْتَعِيثُ غَيْرَ مَعَاثٍ وَلَقَدْ كَانَ عَصْرَةَ الْمَنْجُودِ⁴⁰

ويقول أبو ذؤيب الهذلي: من (الطويل) :⁴¹
وَمَا أَنْفُسُ الْفِتْيَانِ إِلَّا قَرَانٌ تَبِينُ يَبْقَى هَامُهَا وَقُبُورُهَا

يقول أبو دؤاد الأيادي⁴² : من (الخفيف)⁴³
سَلَطَ الدَّهْرُ وَالْمَنْوُنُ عَلَيْهِمْ فَلهُمْ فِي صَدَى الْمَقَابِرِ هَامٌ
وقد يأتي ذكر الهامة وعطشها في سياق الوعيد والتهديد بالموت على نحو ما نسمع
من قول ذي الإصبع العدواني لابن عمه: من (البسيط)⁴⁴

³⁷- انظر: الجزيرة العربية قبل الإسلام - لمجموعة من الأساتذة ص 157 بتصرف
³⁸ - جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام لأبي زيد محمد بن الخطاب القرشي، تحقيق

علي محمد البجاوي ، ص 73 طبعة نهضة مصر، 1981م
³⁹ - الهامة: أعلى الرأس وفيه الناصية والقصة وهما ما أقبل على الحبهة من شعر الرأس وفيه
المفرق وهو فرق الرأس بين الجبينين إلى الدائرة وكانت العرب تزعم أن روح القتيل الذي لم
يُدرِك بثأره تصير هامة فتزقو عند قبره تقول اسقوني اسقوني فإذا أدرك بثأره طارت. لسان
العرب 624/12، مادة (هوم)

⁴⁰ - الصدى جسد الإنسان بعد موته والصدى الدماغ نفسه وحشو الرأس يقال الصدى طائرٌ
يصيح في هامة المقتول إذا لم يثار به وقيل هو طائر يخرج من رأسه إذا بلي ويدعى الهامة وإنما
كان يزعم ذلك أهل الجاهلية والصدى الصوت والصدى ما يجيئك من صوت الجبل ونحوه بمثل
صوتك. لسان العرب 453/14، مادة (صدي)

⁴¹- ديوان الهذليين ص 156/1.
⁴² - يقول ابن قتيبة: اختلفوا في اسمه فقال بعضهم هو جارية بن الحجاج، وقال الأصمعي: هو
حنظلة بن الشرقي، وفي الأعلام أن أبادؤاد هو: جارية بن الحجاج الأيادي، المعروف بابي دؤاد:
شاعر جاهلي كان من وصاف الخيل المجيدين. لشعر والعشراء ص 129. والأعلام 106/2

⁴³ - الأصمعيات للأصمعي نسخة مصورة بنظام PDF ص 30
⁴⁴ - خزنة الأدب، للبغداد 184/7. والمفضليات للمفضل الضبي، تحقيق الدكتور عمر فاروق
الطباع ، طبعة دار الأرقم بيروت، الطبعة الأولى، 1998م. ص 147

ولي ابن عمّ لو انّ الناس في كبدي
يا عمرو إن لا تدع شئمي ومتقصتي
لظلّ مُحْتَجِزاً بالنبل يرمني
أضربك حتى تقول الهامة اسقوني
وعبر بعضهم عن الدم بالنفس السائلة⁴⁵، كقول السموأل : من (الطويل)⁴⁶

تسيل على حدّ الطّبات نفوسنا
وليسنّ على غير الطّبات تسيل⁴⁷
ويذكر المسعودي أن سأل تأبط شرا

خاله الشنفرى عن قتيل قتله كيف كانت قصته فقال: " أجمته عضبا فسالت نفسه سبكا"⁴⁸

ومن جانب آخر لعل العرب الجاهليين في حديثهم عن البليّة⁴⁹ آمنوا بحشر الجسد والروح معا ويقولون إن الميت يحشر راكباً على البليّة ومن لم يفعل معه هذا حشر راجلاً. يقول جريبة بن أشيم الفقعسي⁵⁰ وهو يوصي ابنه عند الموت بهذه الوصية: من (الكامل)⁵¹

⁴⁵ - لسان العرب 233/6 مادة (نفس). ويقول ابن براق :
وكم لاقيت ذا نجب شديد تسيل به النفوس على الصدور
إذا الحرب العوان به استهامت وحال، فذاك يوم قمطير

مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي 153/2
⁴⁶ - ديوان المروعة لـ (السموأل، وحاتم الطائي، وعديّ بن زيد) بشرح د. يوسف شكري
فرحات ، طبعة دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى ، 1992م ص 33

⁴⁷ - الظبة: حدّ السيف والسنان والنصل والخنجر ، لسان العرب 22/15، مادة (ظبا).

⁴⁸ - مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي 153/2
⁴⁹ - البليّة: الناقة العقيرة كان إذا مات لهم من يعرّ عليهم أخذوا ناقة فعقلوها عند قبره فلا تغلف ولا تسقى إلى أن تموت وربما حفروا لها حفيرة وتركوها فيها إلى أن تموت وبليّة بمعنى مبالاة.
لسان العرب 83/14، مادة (بلي)

⁵⁰ - جريبة بن أشيم الفقعسي: شاعر جاهلي. كان من القائلين بالبعث، وممن يزعمون أن (من) عقرت مطيته على قبره يحشر عليها) نسبته إلى فقّس بن الحارث، من بني أسد بن خزيمة.

الأعلام 118/2

⁵¹ - البدء والتاريخ لابن المطهر المقدسي ، مكتبة الأسد، ميدان بهستان طهران 1962م.

فكرة الموت في الشعر الجاهلي

يَا سَعْدُ إِمَّا أَهْلَكَنْ فَأَبْنِي أَوْصِيكَ إِنْ أَخَا الْوَصِيَّةَ أَقْرَبَ
لَا تَتْرُكَنَّ أَبَاكَ يَغْتَرُ خَلْقَكُمْ تَعْبًا يَجُرُّ عَلَى الْيَدِينِ وَيَنْكَبُ
وَأَحْمَلْ أَبَاكَ عَلَى بَعِيرٍ صَالِحٍ وَيَقِيَ الْخَطِيئَةَ إِنَّهُ هُوَ أَقْرَبُ
وَلَعَلَّ مَالِي مَا تَرَكْتَ مَطِيَّةً فِي الْحَشْرِ أَرْكَبُهَا إِذَا قِيلَ أَرْكَبُوا

فالشاعر يوصي ابنه أن لا يترك أباه بدون راكب في يوم الحشر، ولعل في هذا دليل على أنهم كانوا يرون في الجاهلية البعث والحشر بالأجساد وطريقتهم في ذلك أن أحدهم إذا مات، بلوا ناقته، فعكسوا عنقها إلى مؤخرتها مما يلي ظهرها، أو مما يلي كلكها أو بطنها، ويأخذون ولية فيشدون وسطها،⁵² وذكر هذه العادة غير واحد من الشعراء⁵³ يقول الحارث بن حلزة اليشكري: من (الخفيف)⁵⁴

أَتْلَهِي بِهَا الْهَوَاجِرَ إِذَا كُ
لُّ ابْنِ هَمٍّ بَلِيَّةَ عَمِيَاءُ
ويقول لبید: من (الكامل)⁵⁵
تَأْوِي إِلَى الْأَطْنَابِ كُلِّ رَذِيَّةٍ مِثْلَ الْبَلِيَّةِ، قَالِصَ أَهْدَامُهَا⁵⁶

52 - انظر: المفصل في تاريخ العرب د. جواد علي 50/9 بتصرف

53 - يقول الجُمَيْح: من (الكامل)

أَوْ مِنْ لَأَشْعَثَ بَعْلٍ أَرْمَلَةٍ مِثْلَ الْبَلِيَّةِ سَمَلَةٍ الْهَذْمُ⁵³

السَّمَل: الثوب الخلق. لسان العرب 345/11، مادة (سمل). الهذم: البالي من الأكسية وغيرها. لسان العرب 603/12، مادة (هدم). المفضليات للمفضل الضبي ص 357

وقال خدّاش بن زهير:

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا هَامَةٌ أَوْ بَلِيَّةٌ يَصْفَقُهَا ذَاعَ لَهُ غَيْرُ غَافِلٍ

- كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني لابن قتيبة الدينوري تحقيق المستشرق سالم الكرنكوي ، طبعة دار النهضة الحديثة بيروت لبنان 1953م/293. ويقول أبو زبيد: من (الخفيف)⁵³

كَالْبَلَايَا رُؤُوسُهَا فِي الْوَلَايَا مَائِحَاتِ السُّنُومِ سَفْعَ الْخُنُودِ⁵³
كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة 293/1

والناقاة البليّة التي يشير إليها الشعراء في الأمثلة السابقة هي التي يموت صاحبها فيحفر لديها حفرة وتشدّ رأسها إلى خلفها وتبلى أي تترك هناك لا تُعَلَف ولا تُسقى حتى تموت جوعاً وعطشاً، وكانوا يزعمون أن الناس يحشرون يوم القيامة ركبناً على البلايا أو مشاة إذا لم تُعكس مطاياهم على قبورهم . انظر: لسان العرب 83 /14 مادة (بلي) بتصرف

⁵⁴ - ديوان الحارث بن حلزة تحقيق مروان العطية ، طبعة دار الإمام النووي للنشر والتوزيع

دمشق، الطبعة الأولى، 1994م ص 66

⁵⁵ - شرح المعلقات العشر وأخبار شعراءها للشيخ أحمد الأمين الشنقيطي ص 102

ويرى بعض الباحثين أن فكرة الموت والتأمل فيها في الشعر العربي مرتبطة بالفكر الأسطوري السومري القديم حيث أن جلجامش⁵⁷ قد هاله الموت، واكتشف حتمية الموت من خلال موت انكيكو (صديقه)، فعبر الدروب لملاقاة الشمس لنيل الخلود. ونرى كذلك أن الشاعر الجاهلي كان يؤمن بنوع من الأرواح الشريرة فاتصل بالغيبات والشياطين⁵⁸ يقول الجاحظ: "إن جماعة من العرب كانوا إذا صاروا في تيه من الأرض وتوسطوا بلاد الحوش وخافوا عبث الجنان والسعال والغيلان والشياطين، فيقوم أحدهم فيرفع صوته، إنا عائدون بسيّد هذا الوادي فلا يؤديهم أحد وتصير لهم بذلك خفارة."⁵⁹

القلق من الموت

اهتم الشاعر الجاهلي بأمر الموت كسائر الناس، ومضى به تأمله الفكري إلى إدراك حقيقة الحياة في قصرها ومحدودية أيامها لأن حادثة الموت حادثة مهمة لا توقعات قريبة ولا آمال عريضة، وليس ثمة بعده أعمال تكتسب، ولا ذنوب ترتكب. كل هذه الأفكار جعلته يقلق من هذا المصير المحتوم. فنلاحظ أن الانشغال بالموت قد أوقد في نفس زهير بن

56 - الطّٰبُ والطّٰبُ: حَبْلُ الْخَبَاءِ. لسان العرب 1/560، مادة (طَب) . الرَّدِّيَّة: الناقاة المهزولة من السير. لسان العرب 14/320، مادة (رَدِي)

57 - وخلاصة الملحمة) هي قصة قديمة وصلت إلينا من البابليين القدماء، كُتبت في اثني عشر لوحا بالخط المسماري البابلي القديم، تصور الأسطورة أن جلجامش أو جلجامش كان ملكا غريرا، لا يهتم بالأمور الغيبية (الموت) راضيا بحياته، ولكن عندما مات صديقه (أنكيكو) يبدأ القسم الثاني من حياته، فراح يفكر في مأساة المصير، وكان يتساءل: لماذا الموت؟ ولماذا تخلد الآلهة؟ وكان هناك إنسان قديم، وهو جدّه صادق الآلهة وحصل منها على الحياة الأبدية، فقرر الرحيل للوصول إلى جدّه، فيخبره أن الخلود مكافأة الآلهة لإنقاذ البشر، ثم يدل عليه نبئة الخلود، فيرحل للبحث عنها حتى وجدها بعد مخاطرات عدة، ولكن النبئة لا تدوم له ككل أمل إنساني كبير، ففقدت منه إلى الأبد لأنه بينما كان يستحم في بحيرة تسلت حية إلى الشاطئ فابتلعت النبئة هكذا ضاع أمه إلى الأبد). المعجم المفصل في الأدب، إعداد الدكتور محمد التونجي، 1/317 - 18، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية، 1999م. انظر أيضا : مقدمة في أدب العراق القديم لـ طه باقر، ، طبعة دار الحرية بغداد، 1396هـ ، 1976م ص 100 وما بعدها بتصرف

58 - وتعددت أسماء شياطين الشعراء فزعموا أن مع كل فحل من الشعراء شيطاننا وقالوا إن شيطان امرئ القيس لا فظ بن لاحظ، وشيطان عبيد بن الأبرص هبيد، والنابغة هاذر بن ماهر، وصاحب الاعشى مسحل، انظر: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام لأبي زيد محمد بن الخطاب القرشي، تحقيق علي محمد البجاوي ، طبعة نهضة مصر، 1981م ص 47 بتصرف

59 - الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون. طبعة دار

الجيل بيروت - لبنان، 1416هـ 1996م 6/34 وما بعدها

فكرة الموت في الشعر الجاهلي

جناب الكلبي جذوة قلق وخوف لا يسكن، أفسد عليه متعة الحياة وكدر صفوها، يقول: من (الوافر)⁶⁰

لَقَدْ عَمَرْتُ حَتَّى لَا أَبَالِي أَحْتَفِي فِي صَبَاحِي أَوْ مَسَائِي
وَحَقٌّ لِمَنْ أَتَتْ مَائَتَانِ عَامًا عَلَيْهِ أَنْ يَمَلَ مِنْ الثَّوَاءِ
شَهِدْتُ الْمُوقِدِينَ عَلَى خَزَازِي وَبِالسَّلَانِ جَمِيعًا ذَا زُهَاءِ⁶¹
وَتَادَمْتُ الْمُلُوكَ مِنْ آلِ عَمْرٍو وَبَعْدَهُمْ بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ

و قد أحدث أكثر من شاعر عن هذه الحقيقة، فهذا عامر بن الطفيل يقول : هذا الموت الحتمي ليس على الإنسان فقط بل على كل ما هبت به الريح على هذا الكوكب: من (الطويل)⁶²

أَلَا كُلُّ مَا هَبَّتْ بِهِ الرِّيحُ ذَاهِبٌ وَكُلُّ فُتًى بَعْدَ السَّلَامَةِ شَاجِبُ⁶³
أما ابن مقبل فيقلق ويتمنى أن يكون حجرا يقول: من (البسيط)⁶⁴

مَا أَنْعَمَ الْعِيشَ لَوْ أَنَّ الْفُتَى حَجْرٌ تَنْبُو الْحَوَادِثُ عَنْهُ وَهُوَ مَلُومٌ
يَقُولُ أَبُو زُبَيْدٍ الطَّائِي وَهُوَ يَشِيرُ إِلَى هَذَا الْقَلْقِ الَّذِي سَيُطْرَقُ عَلَيْهِ : من (الخفيف)⁶⁵
إِنَّ طَوْلَ الْحَيَاةِ غَيْرُ سَعُودٍ وَضَلَالٌ تَأْمِيلٌ نَيْلُ الْخُلُودِ
عَلَّلَ الْمَرْءُ بِالرَّجَاءِ وَيُضْحِي غَرَضًا لِلْمُتُونِ نَصَبُ الْعُودِ
كُلُّ رِمٍ تَرْمِيهِ مِنْهَا بِرَشَقٍ فَمُصِيبٌ أَوْصَافٌ غَيْرُ بَعِيدِ
كُلُّ مَيِّتٍ قَدْ اغْتَفَرَتْ فَلَا أَجْ زَعٌ مِنْ وَالِدٍ وَلَا مَوْلُودِ

⁶⁰ - الأغاني 29/19

⁶¹ - خَزَازِي : اسم موضع. معجم البلدان، لـ ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله،، طبعة دار

الفكر - بيروت 165/2. والسَّلَانُ: وادي بين الحجاز واليمن. معجم البلدان 235/3

⁶² - ديوان الفروسية (عامر بن الطفيل، و لبید بن ربیعة) ، بشرح د. يوسف عيد ، ، طبعة دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى 1993م. ص19

⁶³ - الشَّاجِبُ: الهالكُ الأثيمُ. لسان العرب 483/1 مادة (شجب)

⁶⁴ - نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري 58/3

⁶⁵ - جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام لأبي زيد محمد بن الخطاب القرشي، تحقيق علي محمد البجاوي ص 581 ،

إن الشاعر يشير إلى هذا القلق الذي سيطر عليه، أن طول الحياة غير سعاد، وكل من يتمنى الخلود فهو في ضلال مبين، وحُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ الهلالي يستسلم للواقع ويشعرنا بعدم الراحة والقلق والخوف من الموت بعد أن فقد بصره يقول: من (الطويل)⁶⁶

أرى بَصْرِي قد رَأَيْتُ بَعْدَ صَحَّةٍ وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَ
وَلَنْ يَلْبَثَ الْعَصْرَانِ يَوْمًا وَلَيْلَةً إِذَا طَلَبًا أَنْ يَذْرَكَا مَا تَيْمَمًا⁶⁷

يصف الشاعر معاناته بصورة يبرز نبرة الحزن والقلق، ومن خلال تجاربه في أحداث الزمن استبطن ما وراء هذا المرض الذي يعانيه من فقد بصره، فيقرر أن ذهاب عينيه ضرب من المعاناة، وأن الزمن لا يدوم على حال (ولن يلبث العصران) وأن الصحة لا تدوم، كما أن الحياة لا تدوم فيعقبها الموت.

فيكرر الشاعر هذه النغمة الحزينة أكثر من مرة فهو في حالة من الهم والقلق بعد موت إخوته ورهطه فيقول: من (الطويل)⁶⁸

أَيَذْهَبُ أَهْلِي بِالْفَنَاءِ وَإِخْوَتِي وَرَهْطِي وَقَدْ أَيَقَنْتُ أَنْ سَوْفَ أَذْهَبُ
أَتَنْسِيْ عَدُوًّا سَارَ نَحْوَكَ لَمْ يَزَلْ ثَمَانِينَ عَامًا قَبْضَ نَفْسِكَ يَطْلُبُ

تسلطت فكرة الموت على الشاعر، فمن خلال الإحساس بفناء إخوانه ورهطه، يصور الموت بصورة عدو متمرس في قبض النفوس. أما علقمة ذو جدن الحميري فيعترف أن لا دواء له ولا أحد يستطيع الدفاع عن نفسه أو عن غيره. يقول: من (السريع)⁶⁹

لِكُلِّ جَنْبٍ، اجْتَنَى، مُضْطَجِعٌ، وَالْمَوْتُ لَا يَنْقَعُ مِنْهُ الْجَزَعُ
وَالنَّفْسُ لَا يَحْزَنُكَ إِثْلَافُهَا، لَيْسَ لَهَا مِنْ يَوْمِهَا مُرْتَجَعُ
وَالْمَوْتُ مَا لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ، إِذَا حَمِيمٌ عَنْ حَمِيمٍ دَفَعُ
لَوْ كَانَ شَيْءٌ مُفْلِتًا حِينَهُ، أَقْلَتَ مِنْهُ فِي الْجِبَالِ الصَّدْعُ⁷⁰

⁶⁶ - ديوان حُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ الهلالي تحقيق عبد العزيز الميمني ، طبعة الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة، 1965م ص 7

⁶⁷ - النِّيم: الثَّغْمَدُ وَالنَّوْحَى . لسان العرب 22/12، مادة (أمم)

⁶⁸ - ديوان حميد بن ثور ص 49

⁶⁹ - المرجع السابق 577

⁷⁰ - الصَّدْعُ: الوَعْلُ بَيْنَ الْوَعْلَيْنِ وَهُوَ الْوَسْطُ مِنْهَا لَيْسَ بِالْعَظِيمِ وَلَا الصَّغِيرِ وَقِيلَ بَيْنَ الطَّوِيلِ وَالْقَصِيرِ وَالْقَبِي وَالْمُسَبِّ وَالسَّمِينِ وَالْمَهْزُولِ وَالْعَظِيمِ وَالصَّغِيرِ. لسان العرب 194/8، مادة (صدع)

فكرة الموت في الشعر الجاهلي

أما عدي بن زيد فيغلب عليه روح التشاؤم في إطار فكرة الحتمية وما ينقب عنها من شمولية أصبح التفكير بالخلود ضرباً من المستحيل الذي لا طاقة للإنسان به يقول أيضاً: من (الطويل)⁷¹

فلو كان حي في الحياة مُخلداً لخلدت ولكن ليس حي بخالد
التأمل في مصائر الأمم الماضية

ومن الواضح أن الشاعر الجاهلي كان يعد من صفوة المجتمع، وأنه كان أقدر المجتمع على نقل مشاعره وتجاربه وثقافته ومواعظه وعبره، فكان يعمد إلى توسيع النظرة إلى الوجود من خلال التأمل في المصير المحتوم. وهذا ما نراه عندما يتعرض لحتمية الموت ويطش الدهر على الإنسان كان يتعظ بمصائر من قبله من الأمم القديمة، وأن الملك و المال لا يدفعان المنية عن البشر، يقول الحارث بن حلزة: ن (الرمل)⁷²

لم يكن إلا الذي كان يكون وخطوب الدهر بالناس فنون
وتقول سعادى بنت الشمرذل⁷³: من (الوافر)⁷⁴

ولقد علمت لو أن علماً نافع
أفليس فيمن قد مضى لي عبرة
أن كل حي ذاهب فمودع
هلكوا وقد أيقنت أن لن يرجعوا
وتأتي نغمة الشاعرة نغمة فطرية صافية حزينة ، ناتجة عن تجاربها وثقافتها الذاتية للمصير فتوصلت إلى اليقين بأن كل شيء سائر في طريقه، فالموت واقع لا محالة، ومن مات وهلك لا عودة له. وردد غير واحد من الشعراء هذه الفكرة، وهذا الحارث بن عباديقول في مقتل ابنه بجير: من (الخفيف)⁷⁵

⁷¹ - ديوان المروعة لـ (السموأل، وحاتم الطائي، وعدي بن زيد) ص 166

⁷² - ديوان الحارث بن حلزة ص 153

⁷³ - الجهنية: سعادى بنت الشمرذل الجهنية: شاعرة من بني جهينة، لعلها جاهلية. اشتهرت بقصيدة في رثاء أخ لها قتله بنو (بهز) من سليم بن منصور، وقال بن الشجري: " ترثي أخاها أسعد بن مجدعة الهذلي" فنسبه لهذيل، وذهب بعض المحدثين إلى أنه ربما كان أخاها لأمها. الحماسة الشجرية 305/1، و الأصمعيات ص 101. والأعلام 89/3، وشواعر الجاهلية رعداء ماديني ص 85

⁷⁴ - الأصمعيات ص 17. ورياض الأدب في مراثي شواعر العرب للويس شيخو ص 132

⁷⁵ - شعراء النصرانية 271/3 - 276

كلُّ شيءٍ مصيره للزوال غير ربي وصالح الأعمال
وترى الناس ينظرون جميعاً ليس فيهم لذلك بعض احتيال

تأمل الشاعر من خلال تجاربه وثقافته في المصير المحتوم، واستبطن ما وراء ظواهر المصير ومغزاه، فيقرر أنه لا شيء باق غير الله وصالح الأعمال. وهذا المعنى نفسه أيضاً يتجلى في قصيدة طويلة للبيد بن ربيعة العامري، تضم ثلاثة عشر بيتاً، يرثي بها أخاه عبد الله، وكلها عبرة وعظة وتأمل في المصير المحتوم، أقتطف منها قوله: من (الطويل) ⁷⁶

بَلِينَا، وَمَا تُبْلَى النُّجُومُ الطَّوَالِغُ وَتَبْقَى الْجِبَالُ بَعْدَنَا وَالْمَصَانِعُ
فَلَا جَزَعُ إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا وَكُلُّ فَتًى يَوْمًا بِهِ الدَّهْرُ فَاجِعُ
وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضَوْئِهِ يَخُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ

فالشاعر يقر بأن البلى غاية كل حي، وتبقى مظاهر الطبيعة من نجوم وأفلاك وجبال، أما الإنسان فلا شك أنه سيموت. ويؤكد الشاعر أن أخاه أريد الذي يجعل موته عبرة للناس، كان من أولئك الناس الذين يفتقدون الجار، ويبقى ذكركم، لكن ما الحيلة، والناس كلهم إلى هذا المصير. والإنسان كالشهاب اللائع يتوهج حيوية، ويتوقد نشاطاً، فإذا ما انطفاة جذوة الحياة منه يستحيل رماداً خامداً لا لهب فيه ولا ضياء. وبعد هذه الأبيات الثلاثة ينفذ الشاعر من خلال موت أخيه إلى معان إنسانية رفيعة، يجد فيها عبرة وعزاء. وما نحن وأموالنا إلا ودائع مستردة، ولا بد أن تعاد الودائع يوماً إلى مالكيها. وأن الحياة ما هي إلا جسر يعبر عليه، وما هي إلا رحلة سنووب منها اليوم أو غداً، فعلينا أن نستعد لها، ونهين أنفسنا لنهاية هذا المطاف الذي لا تعرف مداه لأنه محجب بظلمات الغيب، وسر من أسرار هذا الكون ⁷⁷ الذي لا يملك مفاتيحه إلا خالق الوجود. يقول عبيد بن الأبرص: من (البسيط) ⁷⁸

فَكُلُّ ذِي نِعْمَةٍ مَخْلُوسٌ وَكُلُّ ذِي أَمَلٍ مَكْذُوبٌ ⁷⁹
وَكُلُّ ذِي إِبِلٍ مَوْرُوثٌ وَكُلُّ ذِي سَلْبٍ مَسْلُوبٌ
وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَوْوَبٌ وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يَوْوَبُ
لَا يَعْظُ النَّاسُ مِنْ لَا يَعْظُ الْ دَهْرٌ، وَلَا يَنْقَعُ الثَّلْبُيبُ

وفي اختلاق النعم، والآمال الكاذبة، والإبل الموروثة، والسالب والمسلوب، وغيبة الميت وعند الموت تتوقف عجلة الزمن، ويخضع المكان، ويسود الصمت عالم الأحياء، فلا يبقى

⁷⁶ - الحماسة البصرية للبصري 88/1

⁷⁷ - انظر: دراسات في أدب ونصوص العصر الجاهلي ص 177 - 178 بتصرف

⁷⁸ - عبيد بن الأبرص شعره ومعجمه اللغوي د توفيق أسعد ص 27 - 32

⁷⁹ - الخلس: الأخذ في نهضة ومُخاتلة. لسان العرب 6/65، مادة (خلس)

فكرة الموت في الشعر الجاهلي

إلا إنهاء الصراع عن طريق الخضوع والاستسلام الكاملين⁸⁰ الموت وحده هو وارث هذه الأرض، وكل مخلوق فيها محروب، فهو إما قتل وإما هالك، لقد علت موجة الحزن والفقد فغدونا أمام رثاء وندب للحياة الكونية قاطبة، ومجمل قوله كأنه يقول: سيحل بك ما حل بأهل الديار ووحوشها من قبل. (وكل من حلها محروب إما قتل وإما هالك.) وتقول جنوبُ أختِ عمرو ذي الكلب⁸¹: من (البسيط)⁸²

كُلُّ امرئٍ بطوالِ العيشِ مَكْذُوبٌ وَ كُلُّ مَنْ غَالِبَ الْأَيَّامِ مَغْلُوبٌ⁸³
وَكُلُّ حَيٍّ وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُمْ يَوْمًا طَرِيفُهُمْ فِي الشَّرِّ دُعُوبٌ⁸⁴
وَكُلُّ مَنْ غَالِبَ الْأَيَّامِ مِنْ رَجُلٍ مُؤَدٍّ وَتَأْيِغُهُ الشَّيْآنُ وَالشَّيْبُ
بَيْنَا الْقَتَى نَاعِمٌ رَاضٍ بَعِيشَتِهِ سَبَقَ لَهُ مِنْ دَوَاهِي الدَّهْرِ شُؤْبُوبٌ⁸⁵

نلاحظ أن هذه العبر تتوالى دون انقطاع كالسيل المنهمر، وهي تلامس الذهن بطريقة متواصلة، فالشاعرة تتكى على تجاربها في المصير المحتوم، فهي بهذا تقرّ بأن الحياة قصيرة، وأن كل من غالب الأيام مغلوب، وأن كل حي سيأخذ هذا الطريق المذل الذي يسلكه الجميع.

ولا حظ الشاعر الجاهلي ظاهرة زوال الأمم والممالك، وظهور أمم أخرى، وممالك جديدة في مراحل متعاقبة من الزمان المحدد، ولم يترك هذه الظاهرة لتمر دون

⁸⁰ - الشاعر وملحمة الموت أ. عماد شارف 13 مجلة العلوم الإنسانية، (الجزائرية) العدد 36، السنة الخامسة 2008م

⁸¹ - هي جنوب بنت عجلان بن عامر أخت عمرو ذي الكلب الشاعر الجاهلي المشهور. وأنه سمي ذا الكلب لأنه كان له كلب لا يفارقه. وقيل: إنه خرج غازيا ومعه كلب يصطاد به فقال له أصحابه: يا ذا الكلب فثبت عليه. وكان عمرو هذا يغزو بني فُهْم غزوا متصلا فيصيب منهم. فوضعوا له الرصد على الماء فأخذوه وقتلوه. وقيل أنه نام ليلة في بعض غزواته فوثب عليه نمران فأكله فادعت فُهْم أنها قتلتها. رياض الأب في مراثي شواعر العرب ص 75 - 76. و الأغاني 26/2.

⁸² - شواعر الجاهلية رعداء مارديني ص 236 - 237

⁸³ - وفي رواية أخرى عند لويس شيخو (كل امرئ بمحال الدهر مكذوب) . رياض الأدب في مراثي شواعر العرب ص 76 - 78

⁸⁴ - الدُعُوبُ: الطريقُ المَذَلُّ الموطوءُ الواضحُ الذي يَسْلُكُهُ الناسُ. ينظر: لسان العرب 357/1، مادة (دعب)

⁸⁵ - الشُّؤْبُوبُ: المطر يُصِيبُ المكانَ وَيُخْطِئُ الآخر. لسان العرب 479/1، مادة (شأب)

تحليل لها، أو دون وقوف على أثرها النفسي له، فاعتقد أن هناك قوانين كونية تتحكم في مقدرات ومصائر الأمم، وأن كثيرا من الأمم قد عاشوا مثلنا في هذا الكوكب الأرضي، ولكن صاح عليهم الزمان فبادوا . يقول قس بن ساعدة: من (مجزوء الكامل)⁸⁶

في	الذاهبين	الأولين	من	القرون	لنا	بصائر
لما	رايت	مواردا	للموت	ليس	لها	مصادر
ورأيت	قومي	نحوها	يمضي	الأصاغر	والأكابر	
أيقنت	أني	لا	محالة	حيث	صار	القوم صائر

طال التفكير في مصائر الناس لدى الشاعر فتركه ظلا من الضيق والكآبة واليأس، فاستنتج دروسا مفيدة للمتأمل نفسه من أن ذهاب هؤلاء الأقوام الذين كانوا قبلنا عبرة وعظة لنا. وهذا الواقع دفع الكثيرين من الشعراء إلى التأمل في سيرتهم، وفي الأحداث التي عاصروها والانتهاى إلى استنتاجات هي خلاصة آرائهم وهذا أمية بن أبي الصلت يضيق صوته إلى صوت الآخرين، يقول: من (الطويل)⁸⁷

السن ترى فيما مضى لك عيرة	فمة لا تكن يا قلب اغمي يلد
فكن خائفا للموت والبغث بعدة	ولا تك ممن غره اليوم أو غد
فإنك في دنيا غرور لأهلها	وفيها عدو كاشح الصدر يؤد

بعد أن تحدث الشاعر عن الحضرة العلوية وخلق السموات وما فيهما من آيات يستخلص منها هذه العظات التي تحرك قلوب السامعين، ويحثهم على الاستعداد لهذا المصير المحتوم وأن تقوى الله هو الزاد الوحيد الذي يأخذه الناس إلى هذا المكان. وله أيضا مقطوعة أخرى يلخصها شجون الحياة، وحتمية القضاء الذي يقطع حبل الحياة، مهما طال خيط العمر، فيرى الأبناء يولدون، والآباء يموتون، ولا يرى غير المنية تدور على كل إنسان، فلا ينجو منها أحد يقول: من (البسيط)⁸⁸

ولقد علمنا لو أن العلم ينفعنا	أن سوف تلحق أحرانا بأولانا
وقد عجبنا وما بالموت من عجب	ما بال أحياننا يبتكون موتانا

فهو يعجب من حال الناس، فإن الحي منهم يندب الميت، مع أنه سيلحق به بعد حين. وهلاك الأقوام والأمم السابقة هاجس مشترك يقلق الشعراء الجاهليين، وهذا ورقة بن نوفل وهو أحد من كره عبادة الأوثان، وقرأ الكتب، وامتنع من أكل ذبائح الأوثان، ينظر

⁸⁶ - شعراء النصرانية للويس شيخو 1/ 213

⁸⁷ - شعراء النصرانية 2/ 227 - 229

⁸⁸ - شعراء النصرانية للويس شيخو 1/ 226

فكرة الموت في الشعر الجاهلي

الوجود نظرة تشاؤم ، وقد أحس بعجزه أمام هذا الخصم الغاشم العنيد، فأرهق عقله وتفكيره فيه دون جدوى. يقول: (من البسيط)⁸⁹.

لا شَيْءَ مِمَّا تَرَى تَبْقَى بِشَاشَتُهُ يَبْقَى الإِلَهُ وَيُودِي المَالِ وَالْوَلَدُ⁹⁰
لَمْ تُغْنِ عَنْهُ هَرْمَزُ يَوْمًا خَزَائِنُهُ وَالْخُلْدُ قَدْ حَاوَلَتْ عَادًا فَمَا خَلِدُوا⁹¹
وَلَا سُلَيْمَانُ إِذْ دَانَ الشُّعُوبُ لَهُ وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ تَجْرِي بَيْنَهَا الْبُرْدُ⁹²

يردد الشاعر أن كل شيء مصيره إلى الزوال، فلا يدوم مال ولا يعمر ولد وقد هلك من كان قبلهم من الأمم والملوك والأنبياء مع ما أوتوا من ثروة وقوة وعزة، ولا يبقى في وجه البسيطة إلا الله، فإنه الحي الذي لا يموت. ويضيف زيد بن عمرو⁹³ قول السابقين إلى أن هلاك الأقوام الماضين كان بسبب عصيانهم وكفرهم يقول: من (البسيط)⁹⁴

عَجِبْتُ وَفِي اللِّيَالِي مُعْجِبَاتٌ وَفِي الْأَيَّامِ يَعْرِفُهَا الْبَصِيرُ
بَأَنَّ اللَّهُ قَدْ أَفْنَى رَجَالًا كَثِيرًا كَانَ شَأْنُهُم الْفُجُورُ

والشاعر الجاهلي إذا أراد الحديث عن العبرة والعظة لنفسه أو لغير من بني البشر، كان يرثد كثيرا إلى الموروث الثقافي والحضاري فيعيد صياغتها ويعبر من خلالها عن رواه وتصوراته للحياة والكون والوجود ويستخلص منها عبرا وحكما ، ولهذا نراه يتخيل أحيانا كثيرة أن عادا كانت أمة قديمة جدا تطاول عليها الأمد فيقولون : (عادي)⁹⁵ و (ارمي)⁹⁶

⁸⁹ - الأغاني 119/3

⁹⁰ - البَشُّ : اللطف والإقبال على الرجل، وهو طلاقة الوجه ، وبشاشة اللقاء :الفرح بالمرء والانبساط إليه والأنس به ورجل هَشٌّ بَشٌّ وبشاش طلق الوجه طيب، لسان العرب 266/6 (مادة بشش).

⁹¹ - هرمز بن كسرى أنو شروان، ملك الفرس صاحب الأيوان بالمدائن ذيل تاريخ بغداد لابن النجار "248/2، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، (ب ت)

⁹² - البرد: جمع بريد الرسول. لسان العرب 105/3، مادة (برد)

⁹³ - زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى، القرشي العدوي: نصير المرأة في الجاهلية، وأحد الحكماء. وهو ابن عم عمر بن الخطاب. وكان عدوا لواء البنات، وراه النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة، وسئل عنه بعدها فقال: يبعث يوم القيامة أمة وحده. توفي قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بخمس سنين. الأعلام 60/3. و الأغاني 1183. و خزانة الأدب للبغدادى 99/3.

⁹⁴ - الأغاني 118 /3

⁹⁵ - ديوان الحماسة لأبي تمام " بشرح التبريزي دار القلم بيروت (ب - ت) ص 295

عندما ينسبون شيئا إلى القدم⁹⁷. وهذا عمرو بن قمينة يضيف إلى قول السابقين يقول: من (الكامل)⁹⁸

قد كَانَ من عَسَانَ قَبْلِكَ أَمْ	لَاكَ ومن	تَصِر ذَوُو نِعَم
فَتَتَوَجَّوْا مُلْكًا لَهُمْ هِمَمٌ	فَقَتُّوا فَنَاءَ	أَوَائِلِ الْأُمَمِ ⁹⁹
لَا تُحْسِبَنَّ الذَّهْرَ مُخْلِدَكُمْ	أَوْ دَائِمًا لَكُمْ	وَلَمْ يَذْمِ ¹⁰⁰
لَوْ دَامَ دَامَ لَتَبَعَ وَذَوِي آلِ	أَصْنَاعٍ مِنْ عَادٍ	وَمِنْ إِرَمِ ¹⁰¹

⁹⁶ - شرح المعلقات العشر، للشيخ أحمد أمين الشنقيطي ص 178

⁹⁷ - والعبادي: الشيء القديم. لسان العرب 3/315، مادة (عيد). و هو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ويقال لعاد هؤلاء ، عاد الأولى وكانت منازلهم بالأحقاف، وهو الرمل ما بين عُمان إلى الشحر، إلى حضرموت، إلى عدن إلى أبين وكانوا من أكثر عبدة الأصنام، ظلما وطفغانا فبعث الله فيهم نبي الله هود عليه السلام، فما كفوا عن عصيانهم وعمدوا إلى ضربه وشمه، وكان ذلك على عهد ملكهم شداد بن عاد الذي استولى على العراق والهند وبلاد الشام. وبني إرم ذات العماد التي ذكرت في التنزيل، وادعى الربوبية فأنزل الله به وبقومه عقابه العادل. موسوعة قبائل العرب، إعداد عبد الحكيم الوائلي 3/1183 - 1184 وكذلك " جمهرة أنساب العرب، لابن حزم الأندلسي، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من الأساتذة بإشراف الناشر محمد علي بيضون، ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثالثة، 2003م. ص 462

⁹⁸ - كتاب الحماسة للبحتري ص 132

⁹⁹ - المثنوج: المسود، أي ألبسوا التاج وهو ما يصاغ للملك من الذهب والجوهر والإكليل. الفناء: نقيض البقاء. لسان العرب 2/219 مادة (توج)

¹⁰⁰ - يذم: يطول زمانه. لسان العرب 12/212 مادة (دوم)

¹⁰¹ - والثبابعة: ملوك اليمن واحدهم تَبَعَ سموا بذلك لأنه يَتَّبِع بعضهم بعضاً كلما هلك واحد قام مقامه آخر تابعا له على مثل سيرته وزادوا الهاء في التثابة لإرادة النسب. لسان العرب 8/27، مادة (تبع). وعاد قبيلة وهم قوم هود عليه السلام قال الليث وعاد الأولى هم عاد بن عاديا بن سام بن نوح الذين أهلكهم الله. وأما عاد الأخيرة فهم بنو تميم ينزلون رمال عالج عَصَوْا الله فَمُسَخُوا نَسْنَأَسًا لكل إنسان منهم يَدَّ ورجل من شِق. لسان العرب مادة (عيد). وإِرَمَ والِدُ عادِ الأولى، وقيل هي قبور عاد، وقيل إِرَمَ عاد الأخيرة وقيل إِرَمَ لبلدتهم التي كانوا فيها وفي التنزيل (إِرَمَ ذاتِ الْعِمَادِ) سورة الفجر الآية (7).. لسان العرب 12/13، مادة (أرم)

فكرة الموت في الشعر الجاهلي

و ردد الشعراء الجاهليون أن الحياة لا لذة فيها ولا نعيم مادام الزمن يتحكم في أعمار البشر، وما دامت أمم عظيمة كانت قبلنا أمثال ثُبُع وطسم¹⁰² وأصحاب جاش¹⁰³ ومأرب، وغيرهم، لم يخلدوا وزال عنهم ملكهم ونعيمهم. فلا تحسبوا الدهر مخلصكم¹⁰⁴. وأن هذه الشخصيات التي يذكرها الشعراء ما هي إلا رموز للقوة المادية المتمثلة في السلطة، في الحكم والملكية، لكن في النهاية تتحول هذه السلطة إلى عبرة وعظة يعتبر بها أولوا الأبصار. وهذا طرفه بن العبد يشارك في تشخيص صورة لقمان الذي تتابعت عليه النسور ثم غابت كواكبه، فيقول: من (الطويل)¹⁰⁵

كَيْفَ يُرْجَى الْمَرْءُ دَهْرًا مَخْلَدًا وَأَيَّامُهُ عَمَّا قَلِيلٍ تَحَاسِبُهُ
أَلَمْ تَرَ لِقَمَانَ بَيْنَ عَادٍ تَتَابَعَتْ عَلَيْهِ النَّسُورُ ثُمَّ غَابَتْ كَوَاكِبُهُ¹⁰⁶

يقدم طرفه لقمان ونسوره كأنموذج لمصير البشرية كلها. وقد استسلم الشاعر لهذا الواقع المدمر، بوجود قلق، وإيمان غير مستقر، يتراوح بين الضياع والوجود¹⁰⁷ والأمثلة على هذا كثيرة وهذا عمرو بن معدى كرب الزبيدي ضرب المثل بملوك اليمن وعاد وما كانوا

102 - طسم: قبيلة من العرب العاربة، تنسب إلى طسم بن ولاذ بن إرم بن سام بن نوح، كان ديارها اليمامة، وما حولها إلى البحرين، ولم يعد اسمها وجود لأنها ذابت في قبائل العرب، ولذا تعد من العرب البائدة. وقيل أبيدت بالحروب بينها وبين جديس بن جابر في منتصف القرن الثالث الميلادي. موسوعة قبائل العرب" إعداد عبد الحكيم الوائلي، 1139/3-1140، والأعلام 226/3. وجمهرة أنساب العرب" لابن حزم الأندلسي ص 462. والجذ: الحظ والرزق، يقال: فلان ذو جذ في كذا: أي ذو حظ فيه. تهذيب اللغة/226، مادة (جدد).

103 - جاش: موضع. لسان العرب 269/6 مادة (جاش)، مأرب: بلاد الأزدي باليمن. معجم البلدان 34/5. الثَّقُونُ البركة وحسن النماء. لسان العرب 329/13، مادة (فون).

104 يقول قيس بن الخطيم: من (الطويل)

أَلَمْ تَرَ أَحْوَالَ الزَّمَانِ وَرَبِيهَا وَكَيْفَ عَلَى هَذَا الْوَرَى يَتَنَقَّلُ
كتاب الحماسة للبحراني ص 132
105 - شعراء النصرانية 317/1

106 - غابت كواكبه: رجعت إلى مبدئها، وهو كناية عن هلاكه. لسان العرب 654/1، مادة (

غيب)

107 - انظر: لوحة الطلل في القصيدة الجاهلية د. نوري حمودي القيسي ص 41 بتصرف

عليه من نعيم وملك وجبروت، لكنهم بادوا وتحول ملكهم إلى من جاء بعدهم. وعاد ما هو إلا رمز بشري يدل على البعد المأساوي للبشر جميعا. يقول عمرو: من (الوافر)¹⁰⁸

أثو عذني كأنك ذو رعين بأفضل عيشة أو ذو نواس¹⁰⁹
وكانن كان قبلك من نعيم وملك ثابت في الناس رأسي
قديم عهد من عهد عاد عظيم قاهر الجبروت قاسي¹¹⁰
فأمتسى أهله بادوا وأمتسى يحول من أناس في أناس

يعزي الشاعر نفسه ويحاول أن يخفف من تهديد قيس له وهو نوع من إقناع النفس بالواقع المر والمصير الذي ينتظر الجميع، فيقول له: أظن نفسك كأنك ذو رعين أو ذو نواس هؤلاء الملوك الجبابرة الذين ثبت حكمهم في البلاد لم يسلموا من الموت، من أين لك الخلود؟ إن قتلتني لن تخلد في هذه الدنيا فعليك أن تعتبر من هؤلاء الجبابرة الذين لم يخلد ملكهم.

ومن جانب آخر فقد اشتهرت بعض الآثار القديمة بجمالها وعظمتها في العصر الجاهلي، ولكن هذا الآثار تعرضت لنوائب الزمن، وتراكمت عليها عوامل التدمير فألت إلى ما ألت إليه الحضارات القديمة التي صاح عليها الدهر، فوقف عليها الشعراء ليستخلصوا منها العبر والعظة للناس، ليوكدوا أن ناقوس الحظر قائم وقريب. وهذا عدي بن زيد العبادي يقول: إن هذا الزمان الذي دمر هذه الآثار لا يترك شيئا على وجه البسيطة، والكل سيصير إلى ما صار إليه أصحاب هذه الآثار القديمة فيقول: من (الخفيف)¹¹¹

¹⁰⁸ - معجم الشعر للمرزباني ص 20

¹⁰⁹ - ذو رعين : ملك من ملوك حمير، ورعين حصن له وهو من ولد الحرث بن عمرو بن حمير بن سبا وهو آل ذي رعين وشعب ذي رعين . لسان العرب 13/182، مادة (رعن) . وذو نواس : آخر ملوك حمير في اليمن وهو صاحب الأخدود المذكور في القرآن الكريم، كان يدين باليهودية، وبلغه أن أهل نجران مقبلون على النصرانية، فسار إليهم وحفر أخاديد (حقرا مستطيلة) وملاها جمرا وجمع أعيان المنتصرين منهم، فعرض على النار فمن رجع إلى اليهودية نجا، ومن أبى هوى. الأعلام 8/3

¹¹⁰ - القسوة : الصلابة في كل شيء لسان العرب 15/180 مادة (قسا).

¹¹¹ - ديوان المروعة (السموال ، وحاتم الطائي، و عدي بن زيد) شرح د. يوسف شكري فرحات

ص 182 - 188 . ينظر أيضا : كتاب الحماسة للبحثري ص 86 - 87

فكرة الموت في الشعر الجاهلي

وَأَخُو الْحَضْرُ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَلَةٌ تُجَبِّي إِلَيْهِ وَالْخَابُورُ¹¹²
شَادَهُ مَرْمَرًا وَكَلَّلَهُ كَلْسًا فَلَطَّيْرٌ فِي ثَرَاةٍ وَكُورُ¹¹³
لَمْ يَهَبْهُ رَبُّبُ الْمُنُونِ فَبَادَ الْمَلِكُ مِنْهُ فَبَابَهُ مَهْجُورُ¹¹⁴

هنا نسمع الشاعر يتحدث عن لحظات عن أيام هذا القصر التي أمضاها أهله في نعمة، وكانت تلك الأيام خالية من الألم، شاده الضيزن من الرخام الصلب، وأحاطه الكلس، لكن التغيير من عادة الدهر، فأصبح مهجور الباب.

و الأعشى يحكي القصة المأساوية لصاحب القصر وكيف آل إلى الهلاك بعد أن كان يتقلب في النعمة، فتتحول حياتهم إلى مأساة حقيقية، ويصبح التغيير عنوان حياتهم الجديدة، فينكسر طوق الأمان في حضن هذا السد الذي هو بمثابة رمز للحياة والجنة، ويطبق عليهم طوق الخوف والقلق والاستسلام لهذا الواقع الأليم، ويقدم الشاعر- لابنته التي تخاف عليه مخاطر الطريق في رحلاته، إذ تشكو إليه وحدتها وانفرادها من بعده كاليتيمة - عظة وعبرة، فيعزيها ويهدئ مخاوفها ويعظها في أرق أنغام العواطف الإنسانية، ضاربا لها الأمثال، مواسيا بالقصص والأخبار الماضية، حيث يحكي لها قصة الحضر، فيقول: من(المتقارب)¹¹⁵

¹¹² - أخو الحضر هو عدي بن زيد هو الضيزن بن معاوية بن العبيد بن الأجرام. الأغاني 2/ 133
- 134. ومعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لـ عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، حققه وضبطه مصطفى السقا، 453/1 - 454، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، يوليو 1945م مادة (حضر)

¹¹³ - كَلَّلَهُ : أَحَاطَهُ،. لسان العرب 591/11، مادة (كلل). والكَلْسُ: الصاروج ، وقيل ما يطلى به حائط أو باطن قصر يشبه الجص من غير آجر. لسان العرب 6/ 197 مادة (كلس). وفي روايات أخرى تقرأ (خلله أو جلله). ديوان المروعة (السمؤال ، حاتم الطائي، عدي بن زيد) ص 182 - 187. المَرْمَرُ: الرُّخَامُ ، وَمَرْمَرَةٌ هِيَ وَاحِدَةُ الْمَرْمَرِ وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الرُّخَامِ صَلْبٌ. لسان العرب 165/5، مادة (مرر)

¹¹⁴ - الْهَيْبَةُ: الْمَهَابَةُ وَهِيَ الْإِجْلَالُ وَالْمَخَافَةُ. لسان العرب 789/1 مادة (هيب).

¹¹⁵ - ديوان الأعشى، ص 290 - 298

ألم تَرَى الحَضْرَ إِذْ أَهْلَهُ بِنَعْمَى وَهَلْ خَالِدٌ مِّنْ نَّعَمٍ
أقام به شَاهِبُورُ الجُنُودَ حَوْلِينَ تُضْرَبُ فِيهِ الْقَدَمُ¹¹⁶

فيحكي الشاعر لابنته قصة مأرب التي قضى عليها السيل، ويشير الدكتور حسن فالح في تعليقه على هذه الأبيات إلى أن "هذه البنت ليست إلا فتاة يريد الشاعر من خلالها أن يعبر عن خوفه وقلقه، وبالتالي يرسم الصورة الإنسانية الكبرى في الفجعية والهزيمة، حتى إن هؤلاء الملوك يعجزون عن تقديم شربة ماء لطفل رضيع لأنهم لم يعودوا يمتلكون هذا الماء".¹¹⁷ وهذا الحس الإنساني بالعبرة والعظة يسيطر على فكر الأعشى مرة أخرى ولسان حاله يقول: ولم تمنع الحصون العظيمة التي بُنيت بتيماء أصحابها من فعل الدهر عليهم، وكم كان من نعم ومال.¹¹⁸ فكيف أنتظر الخلود في الدنيا؟ .

وقد تأخذ العبارة في محاور أخرى غير الذي ذكرته آنفاً على سبيل المثال قد يتحدث الجاهلي عن الجبال وعدم زوالها، ويتحدث كذلك عن قصص المخلوقات التي كانت تجاوره في عالمه الصحراوي، كالثور الوحشي، والحمار الوحشي، والطيور، وما كان من أمرها، وبأسها ومنعتها في الحياة، قبل أن يصرعا الموت، والغرض من الحديث عن تلك الحيوانات هو من باب العبارة والعظة للناس. وهذا لبيد بن ربيعة يروي لنا قصة

¹¹⁶ - القدم: جمع قنوم، وهو الفأس أو يشبهها مع حدة تساعد على شدة الهدم. لسان العرب 12/546، مادة (قدم)

¹¹⁷ - صورة العمران الدائر في الشعر الجاهلي ص 152، د. حسن فالح البكور، و د. عيسى قويدر العبادي، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلد الرابع، العدد الأول، فبراير 2007م

¹¹⁸ - يقول الأعشى: من (الطويل)

ولا عاديًا لم يمنع الموت ماله وورث بتيماء اليهودي أبلق

ورث: اسم حصن. الأبلق: حصن السموأل بن عادياء اليهودي وهو المعروف بالأبلق الفرد مشرف على تيماء بين الحجاز والشام على رابية من تراب فيه آثار أبنية من لبن لا تدل على ما يحكى عنها من العظمة والحصانة وهو خراب وإنما قيل له الأبلق لأنه كان في بنائه بياض وحمرة وإن أول من بناه عادياء أبو السموأل اليهودي . معجم البلدان لياقوت الحموي، 1/75. وفي لسان

العرب، البلق: سواد وبياض. لسان العرب 10/25، مادة (بلق) ديوان الأعشى ص 177- 185

فكرة الموت في الشعر الجاهلي

الوعل الذي صرعه الموت مع قوته وتحمله الصعاب قبل أن يصبح فريسة سهلة للزمن يقول : من (من الكامل)¹¹⁹.

لو كان شيء خالداً لتواءلت عَصماءُ مؤلفة ضواحي مأسل¹²⁰
إنها عبرة من نوع آخر، عبرة الانتقال من التجربة الفردية الإنسانية إلى كون يمتزج فيه العالم الحيواني بالعالم الإنساني، يصور الشاعر من خلال خلق رموز الثبات والصلابة، ووهمية الديمومة من أجل تصعيد صورة الموت الذي لا يترك أي مخلوق فيكون عبرة للمعتبرين. وهي فكرة مارسها كثير من الشعراء.

ويشير لبيد إلى أن عدم خلود الإنسان وفنائه عبرة وعظة يقول في ذلك: من (الطويل)¹²¹.
وما المرء إلا كالشَّهابِ وضوئِهِ يَحُورُ رَماداً بعدَ إِذْ هو ساطِعٌ¹²²
فالشاعر يقول: إن كل امرئ يخبو بعد توقده، حين تدركه المنية، كالنار تكون ساطعة الضوء ثم تصبح رماداً. والعظة التي يرسلها الشاعر إلى الناس هي أن لا خلود في الدنيا، وأن كل إنسان يصبح رماداً.

ومجمل القول أستطيع أن أقول إن العبرة تأتي في ثنايا قصائد الشعراء الجاهليين في أبيات متفرقة في معظم الأحيان تمثل نظرات في الحياة والمصير، يضع الشاعر فيها خلاصة تجاربه في عبارات تأخذ شكل الأمثال أو الحكم والعظة حيث لا تتعدى الحقيقة الواقعة التي يمكن أن تبرز لكل إنسان عاقل متدبر، لأنها مشهد الحياة الدائم الذي لا يكاد يغيب حتى يظهر، ولا يغدو حتى يروح، ولهذا نرى أن عظمتهم تدور حول الموت، وأنه نهاية كل إنسان، وخاتمة كل مطاف، والكأس التي لا بد من روادها، والتي إذا جاء أوانها لا يمكن تداركها أو الحيدة منها.

¹¹⁹ - ديوان المروعة (السموال ، وحاتم الطائي، و عدي بن زيد) بشرح د. يوسف شكري
فرحات ص 199-202

¹²⁰ - تواءلت: نجت. عصماء: الأعصم من الأطباء والوعول الذي في نراعه بياض . لسان العرب
403/12، (مادة عصم) . مأسل: اسم جبل. لسان العرب 41/11 (مادة أسل)

¹²¹ - ديوان الفروسية ص 162-164

¹²² - الحور: الرجوع عن الشيء بمعنى يصير . لسان العرب "217/4. (مادة حور)

الاستعداد للموت

الموت من المظاهر اليومية المتكررة التي لم تتوقف ولن تتوقف إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والإنسان لا يشعر بأثر الموت ولا تستيقظ مشاعر الإنسان إلا عندما يصاب به قريبا، أو يرى أنه صاحب المصير المحتوم. وبصورة عامة "فقد أوحى إليهم الفطرة السليمة، أو طول التجربة بأن الموت أمر ينتظر الناس جميعا، فإذا وقع لا ينبغي على المرء أن ينكره، بل يقابله بالرضاء والتسليم"¹²³ يقول الأسود بن يعفر: من (الكامل)¹²⁴

وَلَقَدْ عَلِمْتُ سِوَى الَّذِي نَبَأْتَنِي أَنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُ ذِي الْأَعْوَادِ
وَذِي الْأَعْوَادِ كُنَايَةٌ عَنِ الْمَوْتِ، وَهُوَ سَبِيلُ كُلِّ حَيٍّ، فَالْمُنِيَّةُ وَالْحَتُوفُ لَا يَقْبَلَانِ فِدِيَةً، وَفِي هَذَا فَإِنَّهُ لَا يَبْقَى لِلْإِنْسَانِ أَمَلٌ فِي الْحَيَاةِ إِلَّا الْعِبْرَةُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ¹²⁵.

أدرك الشاعر حقيقة الموت، وأحسن بقوته فارتعدت فرائصه، فبات يخشى المصير، ويخاف النهاية.

وأبو ذؤيب هو الآخر حين رأى أنه صاحب المصير المحتوم، تدفقت طاقته العاطفية بغزارة، مجسدة آماله في الحياة، مصورة نهايته التي أدرك أنه ملاقيها، فتحول حديثه عن الموت إلى العبرة للآخرين. يقول أبو ذؤيب: من (الكامل)¹²⁶

لَا بُدَّ مِنْ تَلَفٍ مُقِيمٍ، فَانْتَظِرْ أَبَارِضَ قَوْمِكَ أَمْ بِأَخْرَى الْمَضْجَعِ
فَالْهَلَاكُ يَتَرَصَّدُ لِلْإِنْسَانِ، وَأَنَّ الْمَوْتَ حَقِيقَةٌ لَا بَدَّ مِنْ وَقُوعِهَا، فَبِأَيِّ أَرْضٍ كَانَ الْإِنْسَانُ لَا بَدَّ
أَنْ يَكُونَ الْمَصْرَعُ، يَسْتَخْلَصُ الشَّاعِرُ مِنْ هَذِهِ الْعِبْرَةِ أَنَّ الْبَكَاءَ سَفَاهَةٌ، وَلِتَأْتِيَنَّ عَلَى الْبَاكِي نَفْسُهُ يَوْمًا لَا يَسْمَعُ الْبَكَاءَ يَقُولُ: مِنْ (الكامل)¹²⁷

¹²³ - دراسات في أدب ونصوص العصر الجاهلي د. محمد أحمد القادر ص 172

¹²⁴ - المفضليات للمفضل الضبي شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر، و عبد السلام هارون ص

¹²⁵ - يقول كُرْز بن غَمِير الطائي: من (الكامل)

اعملْ لِنَفْسِكَ مَا اسْتَطَعْتَ وَعِذَّهَا	مَا	عَشْتُ	مَيْتَةً	مَعَ	الْأَمْوَالِ
وَالْمَوْتَ فَاعْلَمْ غَائِبٌ لَا بَدَّ أَنْ	يَأْتِي	وَأْتِيَةً	إِلَى	مِيقَاتِ	
فِي سَاعَةٍ مَا بَعْدَهَا مَتْرِبَصٌ	يَرْجَى	وَلَا	مَتَقَدِّمٌ	لَوْفَةِ	

كتاب الحماسة للبحتري ص 153

¹²⁶ - جمهرة أشعار العرب للقرشي ص 67

¹²⁷ - شرح أشعار الهذليين لأبي سعيد الحسن بن الحسين السُّكْرِي، ضبطه وحققه خالد عبد الغني

فكرة الموت في الشعر الجاهلي

وَلَقَدْ أَرَى أَنَّ الْبُكَاءَ سَفَاهَةٌ وَلَسَوْفَ يُوْلَعُ بِالْبُكَاءِ مَنْ يُقْجَعُ

وبعد هذا البيت يقرّ الشاعر على أن هذا الذي يبكي على فقد عزيزه، سوف يأتي عليه يوم يبكي عليه الأقارب، وهو ميت لا يسمع نديهم له. وهذا الأسود بن يعفر يشارك في رسم البكاء على النفس يقول: من (الكامل)¹²⁸

فَإِذَا النَّعِيمُ وَكُلُّ مَا يُلْهَى بِهِ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بَلَى وَتَفَادٍ
وفي المعنى ذاته يقول لبيد: من (الطويل)¹²⁹

وَمَا النَّاسُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدائعُ وَلابُدَّ يَوْمًا أَنْ تَرُدَّ الْوَدائعُ
وتشير الخنساء في رثاء أخيها صخر إلى ما يدل على أن موت صخر عبرة للآخرين وأن كل بلي أنثى مصيره إلى الزوال تقول: من (البيسيط)¹³⁰

لَا بَدَّ مِنْ مَيِّتَةٍ فِي صَرْفِهَا غَيْرٌ وَالْدَّهْرُ فِي صَرْفِهِ حَوْلٌ وَاطْوَارُ
تقول لآبد لصخر من أن يموت مَيِّتَةً لها اعتبارها وتقديرها، وتعطي النموذج والقُدوة لغيره، والزمن معروف بتحولاته وتقلباته.

وهذا أمية بن أبي الصلت يخشع أمام المصير المحتوم الذي ينتهي إليه كل كائن حي فيقول: من (الخفيف)¹³¹

فاجعل الموتَ نُصَبَ عَيْنِكَ واحْذَرُ عَوْلَةَ الدَّهْرِ إِنْ لِلدَّهْرِ غَوَلَا
إن الموت ينخر في أعماق قلب الشاعر، ويحفر في وجوده، فلا يلبث أن يفصله كما كان من عيش حسن في تلك الحياة، وعما أراد أن تكون حياته، فأرسل عظة إلى الآخرين أن يجعلوا الموت نصب أعينهم، وأن يأخذوا حذرهم من العدو الذي هو الدهر.. وهو أقسى ألم يعانيه الشاعر وكأنه يقول: إنه سواء عمل الإنسان على تناسي الموت، أو عمد إلى

128 - الشعر والشعراء لابن قتيبة ص 140

129 - ديوان الفروسية (عامر بن الطفيل، و لبيد بن ربيعة) شرح د. يوسف عيد ص 162 -

165

130 - شرح ديوان الخنساء لأبي العباس ثعلب، قدم له وشرحه د. فليز محمد ص 225 - 227

131 - شعراء النصرانية 225/1 - 226

التهرب منه عن طريق بناء القصور والحصون لن يستطيع إفلات سهام الدهر . ويقول أيضا: من (الوافر)¹³²

فَكُلُّ مُعَمَّرٍ لَا بُدَّ يَوْمًا وَذِي دُنْيَا يَصِيرُ إِلَى زَوَالٍ
يلخص الشاعر مجموعة تجاربه في الحياة، فيسوق مواعظ من واقع تجربته أن كل معمر لا بد يوما يصير إلى زوال. ويقول أيضا عبيد بن الأبرص: من (الطويل)¹³³

وللمرء أيامٌ تعدُّ وقد رَعَتْ حبالُ المنايا للفتى كلَّ مرصدٍ¹³⁴
منيتُهُ تجري لوقتٍ وقصرُهُ ملاقاتها يوماً على غير موعدٍ
فمنْ لم يمتْ في اليوم لا بدَّ أنَّه سيعلقه حبلُ المنية من غدٍ
فقلْ للذي يبغى خلافَ الذي مضى تهياً لأخرى مثلها فكان قد

فالعبرة التي يستخلصها الشاعر من تلك الأبيات أن كل ما يملكه الإنسان هو مجرد أيام، وأن حبال المنايا تترصد الإنسان في كل مكان، فمن لم يمت اليوم لا بد أن سيموت غدا. وفي البيت الأخير إشارة إلى أن الذي أصاب من الماضين سيصيب الحاضرين وهو اتصال الأحداث، فالموت هو نفسه.

- الوصايا

هنا نلمح صورا من الوصايا التي نطق بها الشاعر وهو يعتمد إلى النصيح والإرشاد والتوجيه السليم وهي وصايا تحمل معاني إنسانية، تبرز موقف الشاعر ومذهبه في الحياة لتكون درسا ودستورا لبني قومه خاصة وللناس عامة تهديهم في ظلمات الجهل وتنير لهم سبيل الرشاد وما يتعلق بالمصير المحتوم. إذن الوصية خلاصة حياة المرء، وآخر ما يقدمه إلى أقربائه أو أبناء مجتمعه في حياته أو نهايتها، بعد أن اختبر الحياة، بكل ما فيها من حلو ومر.

ومن تلك الوصايا وصية للأعشى الكبير، وهي قصيدة طويلة تصل إلى ثمانين عشر بيتا يضمن فيها وصايا نافعات يقول: من (الطويل)¹³⁵

سأوصي بصيراً إنْ دَتَوْتُ مِنَ الْبَلَى وَصَاةً أَمْرِيءَ قَاسَى الْأُمُورِ وَجَرَبَا

¹³² - المرجع السابق 226/1 - 227

¹³³ - ديوان عبيد بن الأبرص بشرح وتحقيق د. حسين نصار ص 52 - 57

¹³⁴ - رعت : راقبت ورصدت. لسان العرب 325/14، مادة (رعى)

¹³⁵ - ديوان الأعشى ص 70

فكرة الموت في الشعر الجاهلي

ومن الوصايا المشهورة في العصر الجاهلي وصية لقيس بن عاصم المنقري يوصي ولده حيث يحرص على تعزيز العلاقات الإنسانية بين أبنائه بعد موته، وهي قضية كانت ولا تزال تشغل بال الآباء، وتؤرقهم، فلما حضرته الوفاة جمع بنيه وقال لهم: فليأتيني كل واحد منكم يعود، فاجتمع عنده عيدان فجمعها وشذها وقال اكسروها؟ فلم يطيقوا. ثم فرقها فكسرها، فقال: هذا مثلكم في اجتماعكم وتفرقكم، ودعاهم إلى الاتحاد وإصلاح ذات بينهم يقول: من (الكامل)¹³⁶

بصلاح ذات البين طول بقانكم إن مدَّ في عمري وإن لم يمدد وهذا ذو الأصبع العدوانى أحد حكماء العرب في الجاهلية، خاض غمار الحياة، وعرف ما فيها من خير وشر، وعمر طويلاً حتى مل الحياة وعلم أنه مهما عاش فلا بد من موت فليترك لابنه أسيد خيراً ومآثرة وهدى إذا أراد أن يكون سيد قومه وحكيمهم فشرع يوصيه بهذه الوصية ويروي الأصفهاني في (الأغاني) طرفاً من هذه الوصية يقول: "ولما احتضر ذو الإصبع دعا ابنه أسيدا فقال له: يا بني إن أباك قد فني، وهو حي وعاش حتى سنم العيش، وإنني موصيك بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغت، فاحفظ عني، ألن جانبك لقومك يحبوك، وتواضع لهم يرفعوك، وابسط لهم وجهك يطيعوك، ولا تستأثر عليهم...."¹³⁷ ولم يكتف ذو الأصبع العدوانى بالمنثور، بل أنشأ على الفور قصيدة رائعة ضمنها وصايا آخر يقول: من (مجزوء الكامل)¹³⁸

أَسِيدُ	إِنْ	مَالاً	مَلَكْتَ	فَسِرْ	بِهِ	سَيِّراً	جَمِيلاً
أَخَ	الْكَرَامَ	إِنْ	اسْتَطَعْتَ	إِلَى	إِخَانِهِمْ		سَبِيلاً

فهو يوصيه باصطفاء الكرام، ومواخاتهم، مدركاً بذلك صحبة الأخيار، في تربية الخلق، وتقويم النفس. وهكذا حرص الشاعر الجاهلي في وصاياهم لأبنائهم على تعزيز صلتهم بالقبيلة. ومن باب العبرة يدعو إلى التعامل مع الزمن والناس.

ومن ناحية أخرى عندما أتى عبيد بن الأبرص إلى المنذر بن ماء السماء في يوم بؤسه، الذي أقسم أن يقتل أول من يراه فيه، فعزم على قتله، فاستنشد قبل ذلك، فقال: أنشدني قبل أن أذبحك، (أي أوص قبل أن أقتلك) فقال عبيد: والله إن مت ما ضرني. فقال له: لابد من الموت، فاختر إن شئت من الأكحل، وإن شئت من الأجل، وإن شئت من

¹³⁶ - الوصايا والمعمرون لأبي حاتم السجستاني ص 52

¹³⁷ - الأغاني 93/3

¹³⁸ - المرجع السابق نفسه

الوريد، فقال عبيد: ثلاث خصال كسحابات عاد: واردها شر وارد، وحاديها شر حاد... ثم قال يرثي نفسه ويقدم النصيحة للآخرين يقول: من (البسيط)¹³⁹

يَا حَارَ مَا رَاحَ مِنْ قَوْمٍ وَلَا ابْتَكَرُوا إِلَّا وَلِلْمَوْتِ فِي آثَارِهِمْ حَادِي
يَا حَارَ مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَلَا غَرَبَتْ إِلَّا تَقَرَّبَ أَجَالٌ لِمِيعَادِ
هَلْ نَحْنُ إِلَّا كَأَرْوَاحٍ تَمُرُّ بِهَا تَحْتَ الثَّرَابِ وَأَجْسَادِ كَأَجْسَادِ
فالشاعر يفيض قلبه بمثل هذه العواطف الصادقة نحو مصير الإنسان، فتتسع لديه دائرة الإحساس بالموت القريب، لتصبح فلسفة حياة، بل أقول فلسفة موت يقف الشاعر عندها طويلاً فيستخلص منها أن كل حركة من حركات الإنسان لا تكون إلا متبوعة بالموت، وأن كل شروق وغروب إنما يقرب الآجال، ثم يأتي بالاستفهام في البيت الأخير ليعرض الحقيقة المؤكدة، فنحن لسنا إلا كأرواح، وأجساد تتشابه في نهايتها في القبور، فلا فرق بين الغني والفقير والسيد والعبيد. وهو قريب من قول طرفة بن العبد: (تَرَى جُثُوثَيْنِ مِنْ ثَرَابِ، عليهما ... صفائح صم...)¹⁴⁰.

وهذا بشر بن أبي خازم يوصي ابنته بأن تبكي عليه، ويقول لها: هذا قصد السبيل كل حي سيصير إلى هذه النهاية يقول: من (الوافر)¹⁴¹

ثَوَى فِي مَلْحَدٍ لَا بَدْ مِنْهُ كَفَى بِالْمَوْتِ نَايَا وَاعْتَزَابَا
رَهَيْنَ بَلَى وَكُلُّ فَتَى سَبِيلِي فَادِرِي الدَّمْعَ وَأَنْتَحَبِي انْتَحَابَا
مَضَى قَصْدَ السَّبِيلِ، وَكُلُّ حَيٍّ إِذَا يُدْعَى لِمَيَّتِهِ أَجَابَا

والوصايا في المجمل الأحوال خلاصة حياة المرء، يعبر عنها بكلمات صادقة لا تكلف فيها، فيوصي الشاعر أقربائه بإعزاز الجار، وحماية الضعيف، وإغاثة الملهوف، وقرى الضيف، وغير ذلك من القيم الإنسانية التي تصنع من الأبناء رجالاً أفاضالاً. ولا نميز فيها بين موت مرتقب أو موت تحقق لأن الشاعر قد نجح في توحيد الأبعاد الإنسانية.

الخلاصة

ومن الملاحظ في النصوص التي أوردتها في هذا المقال أن العبرة في الشعر الجاهلي ليست وليدة فلسفة ومنطق، وإنما هي وليدة اختبارات القوم، وتجاربهم في الحياة والأحياء. وأن الشاعر الجاهلي إذا أرد الحديث عن العبرة والعظة، كان يتأمل في أحداث

¹³⁹ - عبيد بن الأبرص شعره ومعجمه اللغوي د. توفيق أسعد ص 55

¹⁴⁰ - شرح المعلقات للشنقيطي، حققه وأتم شرحه محمد عبد القادر الفاضلي ص 62

¹⁴¹ - العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده لابن رشيق 28/1

فكرة الموت في الشعر الجاهلي

الحياة والأحياء، وكان يتحدث عن مشكلة الموت عن طريق الارتداد إلى الموروث الثقافي إلى الأمم القديمة مثل عاد وثمود وكسرى وهرمز وغيرهم، وما ألفوا من ثقافات وما وعوا من حضارات عمرانية، ولم تكن طرافة أخبار الأمم القديمة مقصودة لذاتها لدى الشاعر، وإنما كان الهدف العظة والعبرة والتدبر في أمر مصير هؤلاء الأقوام.

وزبدة القول أستطيع أن أستخلص أن كان من الشعراء الجاهلين من نظر واعتبر بالماضين، وتأمل في مصير الناس، وغاية الحياة، ولجأ أخيراً إلى الله عز وجل كما فعل لبيد بن ربيعة، وزهير بن أبي سلمى. ومنهم من ينس وتشاءم وهام وبكى كما فعل عدي بن زيد، ومنهم من انتصر إلى الحياة يلهو بها فكما فعل طرفة بن العبد.

قائمة المراجع والمصادر

1. الأصمعيات اختيار الأصمعي، تحقيق وشرح، أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، طبعة دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، 1967م
2. الأصمعيات للأصمعي نسخة مصورة بنظام PDF
3. الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين، والمستشرقين)، لخير الدين الزركلي طبعة دار العلم للملايين، الطبعة 16، كانون الأول - يناير، 2005م.
4. البدء والتاريخ لابن المطهر المقدسي، مكتبة الأسد، ميدان بهستان طهران 1962م.
5. بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، للسيد محمود شكري الألوسي البغدادي، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الأثري، طبعة دار الكتب العلمية. (ب ت)
6. تاج العروس من جواهر القاموس محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، طبعة دار الهداية. (ب ت)
7. الجزيرة العربية قبل الإسلام - لمجموعة من الأساتذة، مطابع جامعة الملك سعود الرياض 1984م
8. جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام لأبي زيد محمد بن الخطاب القرشي، تحقيق علي محمد البجاوي، طبعة نهضة مصر، 1981م
9. جمهرة أنساب العرب، لابن حزم الأندلسي، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من الأساتذة بإشراف الناشر محمد علي بيضون، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثالثة، 2003م.
10. الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون طبعة دار الجيل بيروت - لبنان، 1416 هـ - 1996م
11. خزائن الأدب ولب لباب لسان العرب لـ عبد القادر بن عمر البغدادي، بتحقيق عبد السلام محمد هارون، طبعة مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الرابعة، 1997م.
12. دراسات في أدب ونصوص العصر الجاهلي، أحمد محمد عبد القادر، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، الطبعة الأولى 1983م.

13. الدم وثنائية الدلالة، للدكتور مراد عبد الرحمن مبروك، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1997م
14. ديوان الأعشى بشرح د. يوسف شكري فرحات ، طبعة دار الجيل بيروت، 2005م
15. ديوان الحارث بن حلزة تحقيق مروان العطية ، طبعة دار الإمام النووي للنشر والتوزيع دمشق، الطبعة الأولى، 1994م
16. ديوان الحماسة لأبي تمام بشرح التبريزي دار القلم بيروت (ب - ت)
17. ديوان الخنساء طبعة دار صادر بيروت (ب ت)
18. ديوان الفروسية (عامر بن الطفيل، و لبيد بن ربيعة) ، بشرح د. يوسف عيد، طبعة دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى 1993م.
19. ديوان المروعة لـ (السموأل، وحاتم الطائي، وعدي بن زيد) بشرح د. يوسف شكري فرحات ، طبعة دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى ، 1992م
20. ديوان الهذليين ، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الأولى، 1995م
21. ديوان حميد بن ثور الهلالي تحقيق عبد العزيز الميمني ، طبعة الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة، 1965م
22. ديوان طرفة بن العبد اعتنى به حمدو طماس، طبعة دار المعرفة بيروت، الطبعة الأولى 1424هـ 2003م.
23. ديوان عبيد بن الأبرص تحقيق حسين نصار، مطبعة البابي الحلبي القاهرة 1957م
24. ديوان عدي بن زيد العبادي، حققه وجمعه محمد جبار المعبيد، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد، مديرية الثقافة العامة، بغداد 1385م، 1965م.
25. ذيل تاريخ بغداد لابن النجار، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، (ب ت
26. رياض الأدب في مرآتي شواعر العرب، جمعه وضبطه، وعلق حواشيه لويس شيخو، المصبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين بيروت، سنة 1897م
27. شرح أشعار الهذليين للسُّكَّري، ضبطه وصححه، خالد عبد الغني محفوظ ، طبعة دار الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 2006م1
28. شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها للشيخ أحمد الأمين الشنقيطي حققه وأتم شرحه، محمد عبد القادر الفاضلي ، طبعة المكتبة العصرية للطباعة والنشر بيروت، 2001م.
29. شرح ديوان الخنساء لأبي العباس ثعلب، قدم له وشرحه د. فايز محمد طبعة دار الكتاب العربي بيروت (ب ت)
30. شعر الحرب في العصر الجاهلي د. علي الجندي، طبعة دار الفكر العربي، القاهرة 2000م
31. الشعر والشعراء تحقيق الدكتور مفيد قميحة، والأستاذ محمد أمين الضلّالي، ، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 2000م

فكرة الموت في الشعر الجاهلي

32. الشعور بالعمور للصفدي، تحقيق عبد الرزاق حسين، ، طبعة دار عمار، الطبعة الأولى 1988م
33. شواعر الجاهلية، لـ رغداء مارديني، طبعة دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى مارس، 2002م
34. صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة الطبعة : الأولى 1422هـ،
35. صحيح مسلم ، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت 1309/3
36. صورة العمران الدائر في الشعر الجاهلي د. حسن فالح البكور، و د. عيسى قويدر العبادي مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلد الرابع، العدد الأول، فبراير 2007م
37. الصورة الفنية في الشعر الجاهلي، لـ نصرت عبد الرحمن، ، مكتبة الأقصى عمان 1976م (ب رقم ط)
38. عبيد بن الأبرص شعره ومعجمه اللغوي، للدكتور توفيق أسعد، مطبعة حكومة الكويت، الطبعة الأولى، 1409هـ 1989م
39. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ونقده لابن رشيق القيرواني، حققه وفصله، وعلق على هوامشه محمد محي الدين عبد الحميد ، طبعة دار الجيل بيروت، الطبعة الخامسة، 1981م
- 40.
41. قلق الموت ، د. أحمد محمد عبد خالق ، عالم المعرفة ، العدد 111، مارس 1987م
42. الكامل في التاريخ لابن الأثير، طبعة دار صادر بيروت، 1965م.
43. كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين للخالدين ، حققه وعلق عليه، الدكتور السيد محمد يوسف، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1965م
44. كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق سمير جابر، طبعة دار الفكر- بيروت الطبعة الثانية (ب ت).
45. كتاب الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمداني، ضبط وتصحيح الأب لويس شيخو، طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين بيروت 1885م
46. كتاب الحماسة البصرية لصدر الدين علي بن أبي الفرج الحسن البصري، بتحقيق د. عادل سليمان جمال، ، طبعة لجنة إحياء التراث الإسلامي القاهرة 1987
47. كتاب الحماسة لأبي عبادة الوليد بن عبد البحتري، اعتنى بضبطه وتدوين فهارسه، الأب لويس شيخو اليسوعي، طبعة المكتب الشرقي بيروت 1910م
48. كتاب شعراء النصرانية، للويس شيخو، طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت، سنة 1890م.

49. كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني لابن قتيبة الدينوري تحقيق المستشرق سالم الكرنكوي طبعة دار النهضة الحديثة بيروت لبنان 1953م.
50. لسان العرب، لـ محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، طبعة دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى. (ب ت)
51. لوحة الطلل في القصيدة الجاهلية، د. نوري حمودي القيسي، مجلة الأقاليم العراقية، العدد الحادي عشر، السنة الثامنة، آذار 1973م.
52. مجمع الأمثال لأبي الفضل الميداني، تحقيق الدكتور قصي الحسين، طبعة دار ومكتبة الهلال بيروت، الطبعة الأولى 2003م
53. مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، طبعة دار المعرفة بيروت (ب ت ،)
54. المستقصى في أمثال العرب لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثالثة، 1987م.
55. مسند الإمام ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية 1420 هـ ، 1999م
56. المضليات، للمفضل الضبي، شرح وتحقيق، أحمد محمد شاكر، و عبد السلام محمد هارون، طبعة دار المعارف بمصر، الطبعة التاسعة، 2006م.
57. المطر في الشعر العربي، للدكتور أنور أبو سويلم ، طبعة دار عمار - عمان، الطبعة الأولى 1987م
58. معجم الشعراء للمرزباني نسخة مصورة بنظام PDF
59. المعجم المفصل في الأدب، إعداد الدكتور محمد التونجي ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية، 1999م.
60. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لـ عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، حققه وضبطه مصطفى السقا، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، يوليو 1945م
61. معجم مقاييس اللغة لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى 1970م.
62. معلقات العرب، دراسة نقدية تاريخية في عيون الشعر الجاهلي للدكتور بدوي طبانة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، الطبعة الثانية 1967م.
63. المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين المعروف بالراغب الأصبهاني، تحقيق محمد خليل عيتاني ، طبعة المكتبة الصديقية سوات باكستان. (ب ت)
64. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي، طبعة دار العلم للملايين الطبعة الأولى بيروت (ب ت)
65. المضليات للعلامة أبي العباس المفضل بن محمد الضبي، حقق نصوصها وشذّب شروحها وترجم لأعلامها ووضع فهرسها الدكتور عمر فاروق الطباع ، طبعة دار الأرقم بيروت، الطبعة الأولى، 1998م.

فكرة الموت في الشعر الجاهلي

66. المفضليات للمفضل الضبي شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر، و عبد السلام هارون
67. مقدمة في أدب العراق القديم لـ طه باقر، ، طبعة دار الحرية بغداد، 1396 هـ ، 1976 م
68. الملل والنحل، لـ محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني طبعة دار المعرفة - بيروت، 1404 هـ
69. الموت في الفكر الغربي، جاك شورون، ترجمة كامل يوسف حسين ، مجلة عالم المعرفة العدد 76، أبريل 1984 م الكويت.
70. نهاية الأرب في فنون الأدب، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، ، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي (ب ت).
71. الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق واعتناء أحمد الأرناؤوط، و تزكي مصطفى، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى، 2000 م

Contribution of Muslim Women

women. Their women are free to seek for earning, to work and to spend. The above mentioned problems are of those women who earn in case of necessity with the permission of their husbands. The figures of domestic violence show the biased attitude of men towards women. These are the registered but many cases remained unregistered due to socio-cultural environment against women.

To sum up, a mature and balance attitude towards women problems is the solution of all problems facing by contemporary Muslim women. The daughter of Muslim Ummah does not demand something extra or above nature. She demands just respect and acknowledgement of her services which she pays to her family. This will bring positive changes in our society. *Insha`-Allah.*